

مصطفى محمود

مغامرة في الصحراء



المكتب المصري الحديث

الجنة درجة حرارتها

٤٨

من نافذة الطائرة كانت تبدو الرمال المترامية بلا حدود تلمع في وهج
التسلي كقميص من الذهب تعلو فيه التلال كنهود مكورة خفية في رسم
سريالي خرافي من تلك الرسوم التي يرسمها سلفادور دالي.

وكنت غارقا في أحلامي أتبع هذه اللوحة الأسطورية حينما تيقظت على يد
رفيق في الرحلة الأخ على المصراق «الكاتب الليبي المعروف».

وسمعتة يقول بصوت غلق:

- هل أحضرت في حقبيتك كل اللوازم؟

قلت في اطمئنان :

- إن بها كل ما أحتاج إليه من هدم .

ورأيت يتفجر ضاحكاً :

- هدم ؟ .. هذه الحقيبة المنفوخة كلها هدم .. (وراح يقهقه) ..

- هل تعرف أن درجة الحرارة في غدامس خمسون درجة في الظل . هل

سمعت النشرة الجوية ؟

قلت وقد بدأت أنصعب عرقاً :

- يا لطيف !

وتذكرت درجة حرارة الأربعين في القاهرة وأنا أسير مضى على وقلت وأنا

أرتجف !

- على أي حال لا بد أني سأجد دنساً في الأوتيل .

- هناك أدشاش بعدد ما تريد ولكن المياه ملحة وتسقق الجلد !

- أعوذ بالله وهل تشرب من هذه المياه الملحة .

- يمكنك أن تشرب مياه غازية ولو أنها مصنوعة من نفس المياه الملحة .

على أي حال هي مياه ملحة مقبلة للصحة فيها حديد ونحاس وزئبق .

- وزئبق كيان .. هذا يعني أننا سوف نموت بالتسمم .

- سوف تنعود .

- الظاهر أننا سوف نعود على أشياء كثيرة .

- ولكنك طبعاً أحضرت معك المصل .

- أي مصل ؟

وهنا ففز صديق من كرميه في الزعاج !

- المصل المضاد للعقرب والتعبان .. هل نسيت ؟

والواقع أني كنت قد نسيت تماماً ..

وقلت وأنا أحاول أن اطمئن نفسي :

- وهل هناك عقارب ونعابين ؟

- وعناكب وحيات .. نحن نازلون في قلب الصحراء الأفريقية .

- ولكننا سوف نتمكن في أوتيل وننام في غرفة يمكن أن نقفل بابها ونسباكها

علينا .

- ستنام في غرفة صحيح ولكنك لن تستطيع أن تقفل بابها من الحر إلا إذا

كنت تريد أن تموت مسلولاً .

وراح يصرب كفا بكف :

- كيف تنسى احتياطاً طياً كهذا .. وأنا معتمد عليك باعتبارك طبيباً ؟

وارتفع أزيز الطائرة ذات المحرك الواحد وراحت ترتفع وتنخفض في

المطبات الساخنة كأنها ريشة في مهب الرياح وغرق المصراق في سكوت قلق .

قلت وأنا أحاول أن أنمى كلمة مطمئنة :

- ولكن هناك مستحق على أي حال أو مركز إسعاف في حالة ما إذا ..

- هناك مركز إسعاف ولكن الحقن الموجودة .. تنفذ بسرعة لأن حوادث العقارب كثيرة جداً .. وقر أيام قبل أن تحصل شحنة جديدة من طرابلس بالطائرة .. وأنت تعلم أن لدغة العقرب تقتل في ظرف ساعات ..
- أعوذ بالله ..

قال في نبرة استسلام

- نهاية .. الأعمار كتاب .. والمذر لا ينجى من قدر .. وإذا كان مكتوباً لنا الموت في غدامس سنموت في غدامس حتى ولو كان مركز الإسعاف كله في جيبنا ..
وشعرت بأطرافى تتلج هذه النبرة الجنائزية .. لم يبق إلا أن نحضر معنا الأكفان .. ونقرأ الشهادتين .. ويكتب كل منا وصيته ..

وراحت الطائرة تهتز مرة أخرى وتسقط كأنها تهوى إلى قاع بئر عم ترتفع وتنزع أحشائى في كل مرة .. ومال الأخ المصرانى على النافذة مشيراً بأصبعه :

- أترى هذه النقطة الخضراء ؟ هذه غدامس .. لؤلؤة الصحراء كما يسمونها .. في هذه النقطة تاريخ أربعة آلاف سنة من الحضارة ..

وأخذت الطائرة تدور مستعدة للهبوط ..

وظهرت شواشى النخيل خضراء تلعب في الشمس الفاربية ..

وسكت المحرك الواحد وبدأت الطائرة تهبط حتى استوت على الأرض في لعومة ..

وهبطنا نستقيتاً على الباب لفحة ساخنة ..

وكان الترمومتر في المطار يشير إلى درجة 45 .. ولكن الحرارة كانت محتملة بسبب الحفاف الشديد ..

وكان كل شئ جافاً نظيفاً ساخناً .. الأرض والجدران والمقاعد والأبواب .. ولكن الهواء كان صافياً نقياً معقماً كأنه خارج من أوكلاف وكان يدخل الصدر فيضله ..

وشعرت بالانتعاش بالرغم من شدة الحر ..

ولكنى كنت مازلت أفكر في العقارب ..

وحينما التقينا بمصرف المنطقة السبخ ونيس الدهانى .. (المتصرف في مقام المحافظ عندنا) .. كنت مازلت مشغولاً بحكاية العقارب .. وكنت أفكر في الطريقة التى أسأله بها ..

وأمسك يدي يشد عليها في حرارة ..

- كيف الحال ؟ انشأ الله تكون مرناح .. كيف الحال عندكم في مصر ؟ ..

ونظرت إلى الرجل المديد القامة .. كان وجهه الصريح وملاحظه الحادة القوية والسمة النبيلة التى تكسو وجهه تحكى قصة كفاح طويلة مع الصحراء ومراس متصل مع المسافات ..

وكانت عيائه تتدفقان طيبة وبساطة ..

وقلت له إن الأحوال بخير في مصر ودعوته لزيارتنا ولقضاء الشتاء على ضفاف النيل ..

ولكنى كنت مازلت مشغولاً بحكاية العقارب ..

ورأيتني أسأله فجأة عن العقارب .

وضحك الرجل ضحكة مملجة :

- العجارب .. العجارب ما يتعمل نى .. الأولاد هنا يجمعوا العجارب فى طاسة ويلعبوا بها .. يبتسوا عليها فى الصحرا .. فيه حد يخاف م العجارب .. انت خايف يا دكتور ؟

وقلت له وأنا أكذب بتسدة :

- لا .. لا .. أبدا ..

وعدت أسأل على استحياء بعد لحظة صمت :

- لكن يعنى .. فيه أظن مركز إسعاف فى البلد .. وفيه مصلى عقرب ..

- ما فى حد بياخد المصل .. وحياناخذ المصل ليه .. العجارب ما يتعمل نى ..

واعتبرت المسألة متبوية .. وأن العقارب ما يتعمل نى ..

وقلت للأخ على متعديا :

- تسايف يا على .. العجارب ما يتعمل نى ..

وضحك على ساخرا :

- طيب ما يتعمل نى .. ما يتعمل نى .. مبروك عليك عجارب غدامس .

وتطرق الحديث بعد ذلك إلى عديد من الموضوعات ثم خطر لى أن أسأل المتصرف فى ناحية من نواحي اختصاصه فسألته عن إحصائية بالحوادث فى غدامس فى السنوات الأخيرة :

قال الرجل فى استهزام :

- إحصائية بالحوادث .. كيف ؟

- يعنى عدد الجرائم مثلا .. عدد الجنايات ..

- جرائم .. كيف ؟

- جرائم السرقة .. وجرائم القتل ..

وايتم الرجل فى طيبة :

- احنا ما عندنا جرائم ..

وقتح دفترأ كبيرأ راح يقطب صفحاته أمامى .. صفحات عديدة بيضاء .. استفسارات من الوزارة .. وردود عليها .. مشروع مساكن شعبية .. مذكرة بتساه ناد لتسحاب .. محضر صلح بين عائلتين .. مذكرة من الأهالى بطلب بناء خزان ماء للمسجد .. ولكن لا جريمة واحدة .. لا جريمة سرقة .. ولا جريمة قتل .. الأمن مستتب بطول السنوات العشر الماضية ..

وأبدت دهلىى وقلت إن هذا نى غير معقول .. ثم عدت أقول إن البوليس لابد أنه كفء جدا ..

وقال المتصرف :

- هذا بفضل السيد اليدرى ..

- قلت له إن السيد اليدرى هذا رجل عظيم الشأن جدا وأبدت رغبى فى زيارته وفى الطريق إلى السيد اليدرى كنت أقول لنفسى طول الوقت .. أخيراً وجدت الرجل الذى صنع المستحيل .. إنه ولاشك أعظم مأمور بوليس فى الدنيا وفجأة توقف المتصرف وأشار بأصبعه إلى نافذة :

وفي حكاية أخرى أنها تفجرت تحت أقدام فرسة عقبة بن نافع . . كانت الفرسة تنبش بحافرها وهي عطشى فتفجر الماء تحت أقدامها ومن هنا سميت « عين الفرس » وهي حكاية مشكوك فيها لأن العين بدأت في الغالب مع مولد الواحة ذاتها ولم تحب متأخرة مع دخول الإسلام .

وهناك حكاية ثالثة تروى أن قافلة من البدو الرحل تذكروا بعد أن أوغلوا في الصحراء أنهم نسوا قصعة طعامهم في المكان الذي تغدوا فيه أمس وعادوا أدراجهم يبحثون عنها في المكان الذي أكلوا فيه . وبينما هم يبحثون تفجرت العين فسموها عين غدامس أي حيث الغداء بالأمس . . غدا أمس . . فأصبحت غدامس وهي فبركة طريفة لاختلاق أصل عربي لاسم غير عربي .

لكن الحقيقة غير معروفة .

مضى . . وكيف . . وفي أي عصر . . انفجر هذا الشروع فأحال الصحراء إلى جنة . . لا أحد يعلم .

لكن كالعادة الخير أقي ومنه الشر .

فما لبثت الواحة المخصصة أن أصبحت مطعماً للأقرباء وتعاقب عليها الغزاة . . الرومان والوندال والبيزنطيون . . ومازالت بها إلى الآن آثار رومانية . . وطرز العبارة البيزنطية واضحة في طابع مبانيها .

ولقد ظلت غدامس مسيحية بسبب الوندال والبيزنطيين إلى سنة ٦٦٦ ميلادية (الموافقة ٤٢ هجرية) حينما دخلها العرب بقيادة عقبة بن نافع ليحولوها إلى الإسلام . . وبعد الحرب جاء الأتراك في القرن السادس عشر ثم إيطاليا في سنة ١٩٢٤ . . وانتهت قصة استعمار الواحة في يناير ١٩٤٣ حينما أغارت قاذفات القنابل الفرنسية على مطارات إيطاليا وثكناتها في الواحة في الحرب العالمية الثانية ونزل الستار على التاريخ الطويل الدامي .

ولكن أغلب الظن أنه كان هناك تاريخ ما قبل التاريخ في الواحة . . فهناك آثار عصر حجري وسكاكين وخناجر من الصوان . . وقد عثر على تمثال عجول ذي رأس بشري بالقرب من بئر عوان بجنوب غدامس ذي ملامح من النحت البدائي الذي كان موجوداً في مصر قبل التاريخ .

إنها قصة قد تطول إذن إلى عشرة آلاف سنة وربما أكثر لا أحد يدري . وكل هذا التناطح دار حول بئر انفجرت وسط الصحراء .

وكان هناك نظام قديم للسقاية من البئر بدل على مدى قبة الماء في ذلك الوقت فقد شق الأهالي عدة أنهار تجري فيها مياه العين وعلى كل نهر بوابة يمكن أن تفتح وتغلق واستعملوا ما يشبه الساعة المائية . . سطل مثقوب تسيل منه المياه ببطء حتى يفرغ على مدى ساعة زمن . . وعند بدء الساعة يفتح أحد الأنهار لتستقي منه إحدى القبائل وفي نهاية الساعة تغلق البوابة فتنتهي السقاية . . ويحس الدور على القبيلة الثانية التي تستقي من النهر الثاني وهكذا يمر الدور على جميع القبائل . . أول نظام لعداد مائي في العالم .

ومازالت هناك ثلاثة أنهار جارية تخرج من البحيرة الكبيرة التي نصب فيها العين . . ومازالت تحمل الأسماء البربرية القديمة . . تاسكو . . وتارت . . وتنجسين .

وقد بنى الأهالي مدينتهم فوق هذه الأنهار فأصبحت أول مدينة تجرى من تحتها الأنهار كأنها الجنة . .

أهلها لا يعرفون السرقة ولا القتل . .

والبوليس يجلس فيها بلا وظيفة أمام دقائر خالية . .

وتحكها روح سيدي البدرى . .

وتجري من تحتها الأنهار . .

ولكنها جنة عجيبة درجة حرارتها ٤٨ .

الكلمة بالليبي العامي	الكلمة بالعربي
يبرز	يبرز
يعفلج	يغفلج
باهي	باهي
الله غالب	الله يفتح الله
مربوحة	رايحة انشاقة
لا سو	لا بأس
يتسبح	يشوف
يرجب	يتدح
عنده ناموس	عنده همه
هجاله	أرملة أو مطلق
لوطه	الأرض
طار السو	خد الشر وراح
	(عند اكسار شيء)
مصهامة الكرشة	أخر العتقود
يدهور	يتفسح
يكحل	يصبص
الاتفر	قرة العين
الدلاع	البطيخ
يدوي	يتكلم
الكورفي	السفرة
يجنتر	يفتشر

الظلام
حالك
من
عز
النهار

احترقت طائرة المارشال بالبو وهي الآن وماه تذرره الرياح من سنين .
ماتت القبلات .

والعشبات القاتنات أصبحن الآن عجائز بلا أسنان .

وماهو السرير الشهير في فندق غدامس يشهد ليلة جديدة مختلفة .

فعندما يأتي الظلام سوف أوى إلى السرير وأنا احتضن كتاباً

إنه علق من نوع جديد .

ولعله العشق الوحيد الذي تدوم فيه القبلات ويشمر العناق .

وتسمرت بأنى محجب أن أعثر للبانيو فلن يكون له دور كبير في غراميات
الليلة .

وكان بانيو فافرا مبطاً بالقباسى الأسود والفس فيه ينزل سائحنا ملتهباً
بلا سائحان . وكل حنفة هنا تنزل منها المياه سائحة . قرمال الواحة الملتهبة

تصل كموفد طيمي طول الليل يرفع حرارة جميع الأشياء .

وراحت أنقب تحت السرير وراء الأبواب وفى الأركان عن العقارب
والثعابين والسحالي والعناكب والأفاعى .

وسمعت قرعاً على النافذة وأطل رأس الأخ المصراني ؟

- أنت مستعد ؟

- ليه ؟

- حانطلع جبل قصر الغول .

كان خادم فندق غدامس يدور في غرفتي في سعادة ويشير بأصبعه مبتسماً إلى
السرير الذى أنام عليه .

- هذا السرير نام عليه المارشال بالبو منذ أكثر من ثلاثين سنة . . ومنذ
سنوات قليلة كانت تحتل هذه الغرفة صوفيا لورين ونامت على نفس السرير
أربعين ليلة . . كانت تصور هنا فيلم « الحبة السوداء » وفى هذا البانيو كانت
تستحم كل مساء .

إنها غرفة محظوظة . . في أيام الاستعمار الإيطالى كان المارشال بالبو يجلب
العشبات القاتنات من روما بالطائرة وكان يملأ هذه الغرفة بالضحكات . .
وكانت قرعات الكتوس ترن في سكون الواحة . هذا سرير له ذكريات .

وراحت أفرغ في سرير المارشال بالبو وصوفيا لورين .

انتهت الضحكات .

وأعجبني الاسم .

كانت له رنة في الأذن توقظ الرغبة في المغامرة .

وقلت له إني أت فوراً .

جبل قصر الغول

وفي دقائق كنا نركب عربة لاندروفر تترنح بنا خسارجة من الواحة إلى عرض الصحراء .

وكان هذا أول لقاء لي مع الصحراء .. ذلك البساط من الرمل بلا حدود وبلا طرفات وبلا عود أخضر وبلا قطرة ماء .. وذلك الهواء الجفاف الساخن كأنه منديل كبير من النسيج يمسح العرق ويجفف اللعاب .. وتلك الأرض الهشة التي انفرطت إلى ركام من الدقيق الأصفر وتلال وأكام وجبال ووديان تصفر فيها الرياح فتصبح السماء بلون الأرض ولا ترى يدك على بعد متر من عينيك وكأنك غرقت في مستحلب أصفر وتحولت إلى ذرة تراب في عالم من التراب يدخل من فمك وأنفك وأذنيك وعينيك وجلدك وبلدعك بلالين التلال الساخنة .

وكانت اللاندروفر تتلوى صاعدة هابطة ساقطة .

وأمعاني تتخضض .. ورأسي يحيط في السقف .. وبعض يحيط في بعض .. والسائق ماهر جداً .. ومتخصص في الطريق ومعه دليل .. ونحن جميعاً نشكر الله .. فلولا ذلك لثأرت السيارة لأي خطأ طفيف في الاتجاه ودخلت في واحدة من تلك المناهات التي يسمونها الرمال الناعمة حيث تغوص كما يغوص الحجر في الماء .

ومرت ساعات دون أن نقطع مسافة تذكر .

وظهرت الحدود الجزائرية على البعد .

ودرنا حول الحدود ثم بدأت السيارة تسرع على سهل منبسط لثلي بنا في النهاية عند أقدام جبل صغير أشهب ملي بالكتوات الصخرية .. قال السائق وهو يتوقف أمامه :

- هذا هو جبل قصر الغول .. هنا حدثت المعركة بين جنود عقبة بن نافع وبين الكفار .

ونزلنا تتسابق جرياً إلى القمة وأنشهد أن الأخ على المصراق كان أسرعنا وصولاً . وكان أول من صاح وهو يطل علينا من فوق :

- لقد وجدت البئر .

أما أنا فقد توقفت عند منتصف الجبل أمام كهف مظلم ..

وجلس على صخرة كبيرة ألنقط أنفاسي . وقال لي الضابط المرافق إن هذا الكهف نقيه جنود عقبة بن نافع في الجبل . وظلوا يتقنون في الجبل حتى بلغوا نقطة التقاطع مع البئر ورابطوا هناك يقطعون كل جبل يدلي به الكفار ليستقوا من الماء حتى أشرفوا على الموت عطشاً فلم يجسدوا بدا من النزول والالتحام مع جيش عقبة وانتهت المذبحة بانتصار العرب .. وأنت تستطيع أن ترى من هنا قبور الشهداء من الصحابة .. وأشار إلى عدد من القبور منصوبة بطريقة إسلامية بسيطة .

وحيناً بدأنا نسير نحو القبور .. كنت أفكر في الطريق الطويل الذي قطعه هؤلاء المحاربون من مكة إلى قلب الصحراء الليبية يسعون على الإبل وعلى الأقدام حفاة لا يملكون من الزاد إلا حفنة من التمر .

أي قوة رهيبة .

الكلمة بالعربي	الكلمة بالغدامسي
نجمة	أبري
دراهم	دراهم
الطفل	امطفال
الخصومة	اكناس
يكنى	يطزف
الفراسة	فرططوا
الخشب	ايبرج
النار	اوغا
الماء	أمان
الناس	ناسي
القهوة	قهوة
المرأة	لنا
الرجل	واجد
١	يون
٢	سن
٣	كاراخي
٤	اكط
٥	سسي
٦	سط
٧	سا
٨	لام
٩	اتصو
١٠	ماراو
١٠٠	مائة
ألف	الف
مليون	مليون

وأى طاقة أطلقتها كلمات القرآن في هؤلاء الأجلاف الجاهلين فجعلت منهم فدائين ورسول فكر وعلم وحضارة يسعون لمصارعة الموت وهم يتسعون .

وحين بدأت أقرأ القامحة لاحظت أني فقدت صوتي من العطش وأن حلق قد جف تماما وتحول إلى أنبوبة من الحطب لا يخرج سوى الفحيح .

إن ترف المدينة واللائدروفر وخبراء الطريق لم تستطع أن تعطيني قوة إن الكهرباء والدرة والقطار والتليفزيون سوف تزيدنا رخاوة . .
إننا نفقد ولا نكسب .

إن إنسان العصر يتحرف تدريجياً ويخسر ذلك الشيء الذي كان عند هؤلاء المحاربين العظام الذين انطلقوا كالمردة وهبوا كالأعاصير وغيروا وجه الدنيا .
نور القلب قبل نور الكهرباء هو ما يجب أن تبت عنه .
نعم روح . . فتبع بتزول لا يكتفى .

لقد خرج النور من أفقر أمة على وجه الأرض لا تملك سوى البعير والخيال واقتحم على القوس والروم ديارهم وكل ذخيرة كلمة حق .

واليوم عندنا الحديد والصلب والكهرباء والبخار والدرة والنفوس كل يوم في الحقد والكراهية إلى الركبتين وتزداد رخاوة وضعفا .

العلم المادى أضاع لنا البيت ولكنه لم يضيء لنا قلوبنا .

العلم قدم لنا جاهلية جديدة أسلحتها الفواصات والصواريخ والقنابل الذرية .

وركعت أتم الرمال حيث تنام قلوب امتلأت عزما ومحبة وشجاعة .

وحينما كنا نعود إلى غدامس كانت أكثر من عشرين مئذنة تؤذن باسم الله .
وواحة غدامس تقع في قلب الصحراء الليبية على خط عرض ٣٠ شمالاً
وارتفاع ١٢٠٠ قدم فوق سطح البحر قرب حدود تونس وحرث . وتعدادها
السكاني وصل في عام ١٨٤٥ إلى ثلاثة آلاف يسهم بحماية عيده . وفي سنة
١٩٤٠ وصل إلى تسعة آلاف وحماسة معظمهم من البربر والطوارق . وهو
تعداد كبير نسبياً . قلى بلد آخر قريب من « غلف » يبلغ عدد السكان
أربعين ألفاً فقط منهم سبعة رجال والباقي نساء وأطفال . وهذا كل شعب
مغرب

وواحة محاطة بسور منخفض يبلغ محيطه ٣ أميال . فيه عدة أبواب كان
يقف عليها الحرس شاكي السلاح

واشتهرت غدامس بطول التاريخ أنها أكبر محطة قوافل . وكان يمر بها في
العام أكثر من ثلاثين ألفاً من الإبل .

ومن أهم خطوط القوافل التي تخرج من غدامس ذلك الخط الذي يبدأ من
غدامس ثم يتجه إلى غات ثم تيوكتو .

وبجارة العاج وريش النعام وثراب الذهب والنساي والعطور التوسية
والنياب المطررة ومدايل الحرير كانت تخرج وتدخل ليبيا عبر غدامس .

ومن عرف الكثير من السجائر السيل إلى الثراء عن طريق تلك القوافل .

كتب أحدهم يقول : « قطعت ذلك الطريق سبع مرات كنت في أولها خادماً
وفي آخر مرة كان عملي سبعة من الخدم »

وكان هذا أمراً طبعاً . لنسبه لعالم قديم لا يعرف الطائرة ولا القطار
ولا السيارة ولم تكن له سرايين يعيش بها سوى فواص الصعدي

ولكن مثل تلك الرحلات لم تكن برهة سهلة . فقد كان الموت والهلاك
يترصد المسافر في كل خطوة من الوحوش وقطاع بطرق وهلاك لايل واموت
عطشا وصلال الطريق وطول السفر الذي كان يمتد إلى سهود في البحر الملاح
وسواقي الرياح . ولهذا كان طبعاً أن يرتفع ثمن البضاعة إلى عشرة أضعافها
وأن يصبح الريح سحياً مجزياً . مثلاً كانت اعماء حريرية سبع ثياب عشرة
خراف وكان رأس الإبل الواحد يباع بمائة وعشرين حروود

ومازال حمار غدامس إلى الآن يحتفظون بألقاب عائلاتهم بمدية . أولاد
سهاب وأولاد بكر . وأولاد التي .

والجد الأكبر لعائلة التي الذي بلغ من الثراء وتكدس الذهب إلى درجة
الخرافة . كان يقال إن الجن هو الذي يجلب له الذهب وبه بدأ رأسه بكر
من الصلوات الذهبية وله عليه الجن .

والأرض خصبة في غدامس تبت كل شيء حتى النقطن والريتون والرمان
والشمام والبطيخ والططم والخضر ويكث مهمة لاس في سوى سجن

وأعجب ما في غدامس مياها . البيوت متلاصقة ذوات السور من حبه
(لطرط الساطين ولأرواح الشريرة) والأبواب منقوشة بطلاسم والتعبويد
وحاتم سليمان المطبوع على رقاع من الجلد ومعلق في المداخل .

وجمع البيوت لصق بعضها وبها سطح واحد . ونساء يعسفن على الأسطح
ولا يبرحها .

يجمع النساء . وسوى النساء . وحياه النساء . كلها على الأسطح

ولا يرى على الارض في سوح لا رحا.

والشوارع جميعها مسقوفة وحسنة ومظلمة حالكة الظلام في عز النهار مل
ثمرات منجم تفوح منها روائح العرق والثراب .. ولا تستطيع أن ترى فيها
شئ بطريقه

وفي هذه سوق لشعاسة كان يباع فيها الرقيق في الأيام الخالية.

وفها أكثر من عشرين مسجداً . وفي كل مسجد مقصورة خاصة
بالنساء

وجمع العدايسة مسلمون متمسكون بديانتهم وعندما ينادى المؤذن للصلاة
يخلو جميع السوارع ويخو جميع المتاجر من الناس .. الكل يذهب إلى المسجد .
وهم يدخلون المحراب يتلاوة القرآن على رأسه .

ولا أحد يترق ولا أحد يقتل .. والعداسي إنسان وديع جدا ومسالماً جداً

ومن تفديد الروح عندهم أن يبق العريس والعروس في « المحبة » وهي
درة أو خيمة صغيرة - متر في متر - داخل البيت لا يخرجانها لمدة يوم ..

والأكنه بعد منه نعمة هي سوحه وبارس

والملوحة نظهى بطريقة خاصة . فهي تجفف ثم تطحن حتى تصبح دقيقاً
غاية في نعومة ثم تمزج بالزيت ونصف إلى الماء وعلى مدة طويلة ثم يضاف
بها اللعوم والبهارات وفيل من السم . وتطبق الملوحة مقدم عادة مغطى
بالزيت

ما يبارس وهو نكهة طريسة سائفة فهو نكهة بعضه
المصوغة من دقيق السمير والماء المغلى وبعد النضج يضاف إليها الملح ثم تكرر

من سكن نزه يحوف ويصع في قلبه حصه وسحقه

رو عداسي قسعه مس في عهد الاحتلال لاطالي وقسعه أخرى قديمة بيت
في عهد الاحتلال التركي

وهم بعد منه يدكرون يوم يسوء ندى حبيب فيه كوكبة من حدود
يوسف القرمانلي (الحاكم التركي) إلى الواحه وأخذت يذهب ويهدد أكثر
من ألف وربة من ثعب أو كانت يجمع لسانه والأطفال رهائن ويحصد كل من
يرفض منه

وهم يدكرون أيضاً أيام الاستعمار لاطالي الأسود سنة ١٩٤٠ حين كان
الاطاليون يجمعون السبان ويحصدونهم بالسفرة حرب لفرسيين في الجرائر .
كانو يعتقلون كل من يرفض ويودعونه لسجن وعرضون بصرائب على
كل تاجر وعلى كل رأس من الإبل

وهم يدكرون ذلك اليوم من شهر يناير ١٩٤٣ حين هاجمت قاذفات القنابل
لفرنسية عداسي لضرب الكنائس الإيطالية فبها وأشعلت الحرائق وقتلت
لثلاث من العداسيين تحت الردم

والنكهة و جهون هذه يكون روح قدره يوم من موت كذب وسقم
في سوحه

والقائل التي تسكن عداسي بعضها بربر وبعضها طوارق وبعضها عرب .
والطوارق يكون خارج عداسي في قرية « الظاهرة »

ما يبارس يكون عداسي وهو مزيج من عرب بربر وعرب وسجندون
من عداسي قسعه وند وقسعه رند

ومن فسه : سد حرجب ، لآب و تل : صرار ، وتاسكو ، ومارغ

ومن ريد خرجت أربع قبائل : جرسان ، وفرقة ، وتجمين ، وأولاد ياليل .

والقبائل السبع أظفعت أسماؤها على شوارع المدينة .. شارع صرار ..
وشارع تاسكو .. وشارع مارغ .. وشارع جرسان .. وشارع فرقة ..
وشارع تجمين وشارع ياليل .

وشارع ياليل هو آخر شارع دار فيه القتال بين المسلمين وسكان الواحه
وهو لقتال الذي استشهد فيه السيد اليدر .

والمدينة ذات البيوت المتلاصقة والسطح الواحد والشوارع المستقيمة لها
أيضا عدة أبواب .. على كل باب تقرأ عبارة عربية منحوتة وتقرأ تاريخ بناء
ذلك الباب .. وكل باب له اسم .

على باب « أم سين » تقرأ .

يا من دخل وخرج بعد الضيق نجد الفرج .

وتدخل من باب « أم سين » إلى شارع مظلم يتفرع بك إلى تلك القنوات
عربية كآب حمر وسميح بك وصراف ها وهذا على مدار أربعة بحجم
هيها أهل البلد في الحفلات والمهرجانات أو ملعب يلعب فيه الأطفال ..

وحفلات الأعراس عندهم يعرف فيها زمار وعدد من النساء بضرير الطبل
وهن محجبات تماما ويرقص الرجال ولا ترقص النساء العريبات

واللغة الغداسية هي مزيج من اللغة العربية واللغة البربرية والغامية اللبنة
واللغة الطارجية (لغة الطوارق) .

وتعدد الروجات موجود بين الغداسة ولكنه قليل

وسيط البكاره في الرواج ضروري

في أحد شوارع البلدة المسقوفة نجد عددا من الحمامات مبنية فوق أحد
البيوت عبي العرس (وجمع الأتار التي تخرج من عين العرس بحجرى تحت مبنى
... فالبلدة مقامة فوق الأتار) ، وفي كل حمام نجاعة تصنع عبيها تيبك
من أن تدخل إلى البانيو ، والبانيو هو الهر نصفه الذي بحجرى فيه مياه العين
في صيغا ومنا .

ومارالت الأصنام التي كان يعبدونها أهل غدامس قلعة خارج البلدة قرب
مدينة الظاهر

الرجل
معلم
و
المرأة
سافرة

وصارق غدامس أكثر محصراً وقدنا من بحولهم الذين يعيشون على ابداءة
والبحال والتقل وراء المراعى في صحارى الجزائر والسودان .

وهم يتبعون قبيلة كبرى اسمها هوغاس والاسم مشتق من نفسى بأنفسه
تأريجة « أى الطوارقية » وهو اسم حيوان مفترس . . وهذا يدل على انفسه
طبيعة « تقديس الحيوانات واعتبارها أجداداً المحذر منها الجسم » .

وقد انحدر من قوغاس ثلاث قبائل : كل تسمى هاوت . . وكل أوراغين . .
وكل سسى

وكلمة « كل » معناها ابن . أى ابن تسمى هاوت وابن أوراغين . . وابن
تسيل . . وهى القبائل الثلاث التى تؤلف الطوارق السبائة الذين يستقرون في
مربى الظاهرة خارج غدامس .

والطوارق الغدامسة مسلمون مالكية متمسكون بدينهم

وقد غير الإسلام طباعهم وعاداتهم

ودخل الترانزيستور ودخلت البطارية والدرجة لتغيرهم أكثر .

وقواعد الزواج يحكمها التشريع الإسلامى . فلا زواج بين أبناء وبنات
نفسى أو حدة ولا بين الأب وابنه ولا بين الأم وابنتها ولا بين الأخوات في
الزواج وبالمثل تكون المسافة بين أمثال هؤلاء من المحرمات أيضاً .

وفي كل قبيلة غفيرة يعلمها القرآن ويخرج معها في رحلاتها .

وامرأة عجوز سنها ٨٢ سنة اسمها « مبروكة ايدا ماهولزا » سمعها تقرأ
القرآن في مصحف مخطوط . . وهى محظرة . جمع الصور عن ظهر قلب .

وفي الويمة الكبيرة التى أقامها لنا الطوارق جلسنا على سجادة وحشايا

لاشئ يشير في غدامس مثل هؤلاء العرسان العرب الملتصين . يركبون الهادى
نوع من الإبل سرمة . ويسرون في موقل مهيبة لا يظهر من لو حدة
لا عيبه تهرقان في ضوء الشمس ، أما الوجه والرأس فيحفظها لثام أبيض
وأحياناً ملون . والجسم يلتف في عباءة فضفاضة بيضاء أو ملونة . . وإذا
صادف أحدهما ينشئ في الصحراء خيل إليك أنه أمير أو ملك ينشئ في قصر .
فهو راسى راس الرأس في عدد وحطوط راس كأنه مقعر منعد
ملكته . وهو دائما أبيض وشيق معطر .

هؤلاء العرسان هم الطوارق .

والطوارق هم قبائل متعددة تملأ الصحارى الساسمة في الجزائر وليبيا
والسودان والبحر

وبعرة وقدم إلى كل من عوطه بظفه مخرة بالسك والعبير وبدأت لصياغة
بالدين والقر « وهم يسيرون بئاً حامصاً » ثم لخروفت المسوى بالكسكى ثم
لنأى اعرق

وهبل لعماء قدم سياب العيلة عرصاً لألعاب القروسة على ظهور المهارى
ورقصت المهارى على الطبول

وبعد العشاء بدأ السير إلى نصف الليل

واللغة التى يتكلم بها الطوارق « التارجية » من أصل بربرى ويقال إنها
مستقة من لغات السامية القديمة وفى رأى عالم بها إنتاج محلى وإن لها
أصنافها الخاصة قهوى وسائل تعبير لأولية التى ابتكرها الأجاس البدائية التى
سكنت الشمال الأفريقى من ألوف لسنين

ولغة التارجية ليس فيها حرف (د) وحرف (ظ) وإنما حرف واحد
يسمى لاسر ونص لا يوجد فيها حرف س وحرف ص ولا حرف
ق وحرف ث ولا حرف د وحرف ف وحرف ب وحرف ت وحرف ك
ولغة تكتبه وسمي « سنداخ » مؤلفة من ٢٤ حرفاً ، وهى أشبه بالعلامات
هندسية « دوائر ومربعات وخطوط وثلثات » ، وهى تنعش على المحارة
وجنود والحسب وتستعمل فى حسابات قليلة لتسجيل الملكية أو عقود الزواج
وتكتب من اليمين إلى اليسار أو من فوق إلى تحت ، ويتخاطب العشاق بإشارات
من أصابعهم دون نطق كطريقة سرية للتعاقد على المواعيد

وأصل هذه لغة غير معروفة ويقال إنها مثل لغة الكلام من أصل سامى .

واللغة العربية معروفة قراءة وكتابة بالنسبة للطوارق العداسة

وللطوارق أتمعار وأغان ومسودات باللغة التارجية تتحدث عن الحروب

الحرب والصحراء والخيال وسكون الليل وحلته العنساك مشابكى الأسى
حين تثار الرقصه ودنك الإحصاس الذى يسوق على الخبيبي فسعر
حين لطاغى بنحاة والقمر والجوم ورقصه العصفور « مولا مولا » أمام
عنه مسرة القلب حين يقضى بأعمق التواضع ويعبر عطف

هو حين سعه على برده « برده

مع الحكيم حكيم ولا يصح للأصل بين سوء وشهر
لا يصح له أن يحكى صحارى فى يدى جدار سكبه
بحر . بخلاف ولا يعرفون به دور سكبه شك كى عدا حار و به دور
مسولا وسكبه مبدد همة من حجارة

« موسى حورى » هو معروف على عمرد و بطون : سمة موسى حورى
من موسى سيرة

« عمرد » هو « برده » لا « سمة » وحده عمرد علامة على حسن
به سمة وحده عطفه . وبعضى يشار عارفاً قدرات دور سيرة
« سيرة » خضع هو رحل فلا من يصحارى سمعو سيرة

وعادة اللثام بالنسبة للرجل والسفور بالنسبة للمرأة عادة غريبة من
أصعب عسيرها

والنظرية لقائه بأن لثام يلبس كوقاية من العو صف الرمدية لا تفسر
لماذا لا تلبسه المرأة أيضا . . والنظرية التي تقول إن الرجل يلبس اللثام
لينحى عن عدوه نظرية غير صحيحة لأن الرجال يتصارفون على بعضهم
بدرع من اللثام .

وأغلب الظن أنه نوع قديم من التحريم الوثني الذي كان يعتبر لم
رجل عورة * لأنه مدخل الهواء والماء والطعام ، ومخرج التنفس أو هو باب
الروح الذي يمكن أن يدخل منه الجن والأرواح الطيبة والشريرة ، ولهذا
وجب أن يحميه الرجل فلا يكشفه أبدا .

والمرأة تقول في امتدح زوجها أنها عاشت معه عشرين سنة دون أن
تري له

وحين يحدث أن يقع اللثام فجأة في الرجل يسارع بيده يهيج له
وكنه عورة فعلا ويسرع بيده لأخرى يلتقط اللثام من عن الأرض

ومنتهى سوء الأدب أن يكشف الرجل له أمام المرأة حتى ولو كانت
زوجته .

ولا يمشى بدون لثام غير الأطفال ، فإذا أدركوا سن البلوغ ألبسهم
بدرع اللثام في احتفال يقدم خصيصا لذلك ، ومن تلك الملاحظة يسمع هم
محصور بحال السر وينظر لهم على أنهم أصبحوا رجالا .

إن اللثام علامة كمال الرجولة .

الكلمة بالعربي	الكلمة بالتارجي	الكلمة بالعربي	الكلمة بالتارجي
عبي	طيط	الكراهية	كوسن
وردة	طيط	العصب	ابليس
الحليب	خ	الفرح	ترامان
الدم	اهي	الحرب	ان معنى
قر	تيبي	السلام	مان وبي
لمحة	ترا	أهلا	ايلا
أذكر	اي	الحياة	نامت دورث
الأنثى	توتني	الموت	نامت تبت
الجميل	ايماس	الله	امى
الحصان	ايس	الريح	اضو
شجرة	اشك	جل	اضرار
صحراء	تيندري	مهرجان	أراواضى
المطر	امشى	قبيلة	تاوست
الطفل	اباراه	حبر	تاكيا
النار	تيمى	ماء	امان
المطبخ	ايضا عيرد	سماء	اجا
الرجل	اكس	الخير	أمين
المرأة	طمط		

وحتى أثناء الأكل على الرجل ألا يكشف عن ثمة .. وعليه أن يأكل من تحت اللثام ومن يكشف عن ثمة أثناء الأكل فهو يدل على وضاعة تربيته وسوء متبته تماما كمن يأكل بأظفاره عندنا .

أم لماذا لاتلبس المرأة اللثام فهو أمر غير مفهوم .

ولماذا اعتبرت التقاليد قم الرجل عورة ولم تعتبر قم المرأة عورة ؟ .

هذه كلها أسئلة بلا جواب .

والطوارق لا يختنون البنات .. واختان عملية مقصورة على الذكور .

وختان الأطفال يتم في اليوم السابع .

كما أن تسمية الأطفال تتم أيضاً في اليوم السابع .. يسميهم أسماءهم وليس أبائهم .

ولزواج يبدأ بالخطبة ولأب هو الذي يحطب لابه

لكن بيت في الطوارق تختار في حريه وتوافق أو لا توافق والمهر عادة سبعة رؤوس من الإبل أو مايقابلها من الخراف ويتم حفل العرس بالموسيقى والعناء أغنية شجرة الزيتون وفي نظر الدكتور هومان أن هذا دليل على يقاب وثنية لأن شجرة الزيتون من لأشجار التي كانت تعبد أيام الوثنية الأولى .

وتبدأ العلاقة الزوجية وتستمر سنة وأحيانا خمس سنوات ، تذهب الروجة كل ليلة إلى روج تنبت معه ثم تعود لأهلها في الصباح ويسمون هذه الفترة فترة التأهيل

وبعد هذه الفترة تعد خيمة جديدة بمستلزماتها يوضع فيها جهاز العروس

ويدخل امرأة عجوز لتقرأ تعاويذ خاصة لطرد الجن . وبعد ذلك تبدأ حياة مشتركة

والطلاق يحدث بسبب العقم وسوء المعاملة وأمراض مثل الجذام وخون . وعلى المرأة بعد الطلاق أن تقضي شهور العدة كما في الاسلام قيل أن يجوز لها الزواج من جديد .

والطوارق لعدم استراكيون بالقطرة . فاد دبع أحدهم ذبيحة فهو يطعم كل الجيران ويقم الذبيحة بالتساوي على القبيلة .. ولا أحد يأكل اللحم وحده . وكذلك إذا تقدم السن بأحدهم فإن كل القبيلة تشترك في سد حاجاته وكل واحد يعطيه نصيبا من السكر والشاي واللحم والأنس

ولا يوجد طوارق يسعد

والسارق يعاقب بالطرده والبيد والمقاطعة تكامنة من القبيلة

والقتل يحكم عليه بالقتل والحكم يصدره الرئيس الأعلى للقبيل امبو كن

والطوارق معصرون والواحد منهم يبيع الثياب وهو يحتفظ بجميع لبقاته وفي صحة جيدة والسرق في ذلك هو حدة اهواء انطلق والطعام انقليل وبساطة المعيشة وخلوها من العلق والحسوم .

والطوارق لا يأكل إلا وجبة واحدة وباقي اليوم يشرب اللبن ، وأثناء الترحال الطويل يكتفي بشرب اللبن وأكل التمر وهو يشرب من اللبن كميات كبيرة . وأحيانا لثرا كاملا في المرة الواحدة ، وهو دائما لب حامض .. وهو لا يعرف الخمر ولا المقدرات .. ويمضغ الدخان ولا يدخنه

وهم يحكون عن أوفانهايت الذي كان مفرما بتدخين البيه وعاش ١١٥ سنة .

والطوارق لا يرهب عندما يحضره الموت ينطق بالشهادتين إذا كان مسلما وإلا فهو يرفع أصبعه السبابة ويطلق آخر تهيدة .

ويعقب الموت الفصل ثم التكمين والدفن على الطريقة الإسلامية حيث يمد متجها إلى القبلة ، ثم تفك خيمة الميت ويصبح مكانها حراما لا يصب أحد خيمته فيه .

وترفع الراية البيضاء على الخيمة حينما يموت أحد فيها

والحداد والملابس السوداء والنظم والندب والعويل أشياء غير معروفة بين الطوارق ، والكلمة التي يقال عند الموت لأهل الميت علي أن يفرح . فقد ذهب من يحب إلى الجبة .

والزوج يلبث ثلاثة أيام بعد وفاة زوجته في خلوة كاملة داخل خيمته لا يبرحها ..

والزوجة تظل أربعة أشهر وعشرة أيام في اعتكاف كامل ، ثم بعد هذا تستطيع معاودة الحياة الاجتماعية العادية وتتزوج إذا أرادت .

والزوجة لها مقام عال ولها احترام في بيت الزوجية ، وهي تشارك زوجها جميع المسئوليات والأعباء ، ورأيها يؤخذ في كل الشئون . . وتعدد الزوجات غير معروف بين الطوارق مع أن الإسلام يبيحه . . ولا تصير لهذه الظاهرة سوى أن الطوارق قد ورثوا مع ما ورثوه من تقاليد " تقديس الأم " استمرارا لقوانين القديم التي كانت تضع الأم على رأس القبيلة وتنسب الابن لأمه

قاموس تارجي عربي

الكلمة التارجه	كلمة عربية
سادس	سبع
سحلا - كانا	حبر
سهي	سبي
سرد	سريع
سدي	سبي
سبي	سبي
سفسل	سفسل
سخر	سخر
سمنص	سمنص
سج	سج
سسا	سسا
سسا	سسا
سسوكيت	سسوكيت
سعر	سعر
سظيه	سظيه
سحب	سحب

لا لأبيه وتعطى المرأة الحق في أن تتزوج كبر من روح زوجها كونه حكمة
على أرواحها الرجال والحكمة على القبيلة كلها

وفي كتاب تاريخ السودان نجد بالفعل المؤلف يروي لنا أن في سنة ١٤٧٥
كانت تطلق السودان قبيلة من البربر يحكمها امرأة اسمها يبحود كان
ومعنى ذلك أن نظام سيادة الأم كان معروفا بالنسبة للبربر القدماء.

وبالرغم من انقراض هذا النظام إلا أنه ما زال يحلف تلك الأما من تعديس
المرأة في قبيلة الطوارق.. فالمرأة تعمل وتعرف لموسيقى وترأس الحفلات وتختار
حبيبها وتختار زوجها.. وترفض تعدد الزوجات بالرغم من أن الإسلام يسمح
هذا بالتعدد شرعا

ومن أسماء الرجال.. أوكا.. اخديدي.. أوبا.. أخوخا.

وأخي التارجي كان حارب شهرا حارب الأتراك في غات وقتل حامها وقاد
ثورة مطاب بالامتيازات السياسية

وأخوخا التارجي عاصر ديبون.. وأرسل له تابلينون الرسل ليخبره
بمن هربا والطوارق فرقص أخوخا..

ومن أسماء العتبات.. فتاتا.. ومالا

القبائل
بحك
الأنف
بالأنف

وي تلك النبال كانت من أجناس ما قبل التاريخ ، من ذلك الجنس الذي
ظهر في الشمال الأفريقي والذي يعرف باسم « كروما جيون » .

وبعد إن أصل الطوارق من البربر وأصل البربر من جنس الكروما
حسب

وفي أحد الآراء أن الفراعنة أنفسهم من البربر ، ويساق هذا الرأي كتفسير
سبب الحصارية التي حدثت في وادي النيل وكيف كانت بتأثير هجرات من
الكروما جيون والبربر .

ومعنى هذه النظرية أننا سنلتقي مع الطوارق في سابع جد .

وفي رأى آخر **أن** أصل الفراعنة آسيوى .

والكلام كثير **في** أصل الفراعنة والحقيقة غير معروفة . .

لكن مما لا شك فيه أن الصلات بين مصر وليبيا عن طريق التجارة و هجرة
والحروب لم تنقطع طوال التاريخ القديم .

أما الطوارق البيض والشعر ذوو العيون الزرقاء فهم من دماء أوربية جاءت
من الشمال الأفريقي عن طريق البحر في الزمن القديم . . وفي قول آخر أنهم
من أصل أفريقي **وقد** تفرقت وكثرت .

وطوارق الحبوب السود ذوو التفاعيل الزنجية من أصل سود في جنوب .

والمؤرخون العرب لهم نظرية خاصة في أصل البربر . . يقول ابن عبد الحكم
من **مسلطين** هوانهم هربوا بعد مقتل ملكهم جالوت بيد نبي داود وهجروا
في —

ويتحدث صاحب المسالك عن هجرة قبائل اليهودية والريانة والداريسية

يبدو أن قلب الصحراء الليبية كان مسرحاً لإنسان ما قبل التاريخ . . من
على ذلك اثتراء الهائلة من الآثار والمخلفات من العصر الحجري . . ما تكاد
يصر في الرمل حتى تعثر على تلك الآلات العجيبة . . سكاكين وبلط وحرب
وسهام ومسامير ومبارد حجرية وابر من العظام . .

وتلك التلال من الحصى المرحوص عند أقدام الجبال هي مائتق من سوهد
المدافن القديمة . ما تكاد تحفر تحفها حتى تجد مئات من الهياكل العظمية والأدوية
هؤلاء الذين رقدوا رقاد الموت منذ عشرة آلاف سنة .

وعلى جدران الكهوف ترك الفنان الأول رسومه الأولى وأولى مضامراته في
عالم الفن . . صورا محفورة بأناقة مذهلة وملونة للفسال والزراف والنور
والرقص والصيد والزواج والمحب رسماً قبل أن يعرف كيف يكتب وكيف
يتكلم .

والخيلة و تشارهم بين طرابلس والدواخل الصحراوية

ويقول ابن خلدون إن البربر هم أولاد كنعان ونوح

أما الرأي لأوردوني الذي يقول بأن الطوارق تنصبون هربوا من وجه
الإسكندر المقدوني فهو رأي خاطئ لأن وجود هذه القبائل قديم وباب من
أيام هيرودوت وقبل الإسكندر بزمان طويل .

ومن طرف الوثائق ما كتبه هيرودوت يصف جلا ساء محل الأتلس بقول
هيرودوت :

« بعد وجدته جيلا مرتعا شديد الانحدار من ناحيته حتى يستحيل على
الناظر أن يرى قته التي يعطيها الضباب صبها وشتاء . ويقول سكان الوادي إن
هناك على بقعة تقوم دومة سماء ويسكن أهل الثلاثينيس » .

ورد هذا الكلام في رحلة هيرودوت إلى شمال أفريقيا ووصوله إلى منطقة
طوارق لمجاعة في الجزائر . وأغلب الظن أنه قصد بالبقعة التي وصفها القصة
المعروفة الآن « موت أودان » .

ولكن خرافة دولة السماء وقارة الثلاثينيس مألوف أن تناولها أفلاطون
لتجعل منها المسرح الخيالي لجمهوريته حيث تصورهما جزيرة في وسط البحر
يسكنها صفوة من الناس ويعوم عليها مجتمع عودجى هو الذي وصفه في
جمهوريته أفلاطون

من بعد خرافة الأتلسس تصبح بقارة مفعودة من طرف وميرك
سماها محيط وحيث عذب عذاب الإله بعدد حجب خرافة عن صاعته
المصنوعة نسبة بطله وطرد دم ومعد ديك آخر دحيت قارة الأتلسس إلى
كتب العبيدات وبحوث إلى بحر مصر والأصل سطر كنه هيرودوت في رحلته

في طوارق لمجاعة

هيرودوت يسمى قبائل الطوارق « ناسامون » ناس امون ويذكر عنها أنها
قبائل تصطاد الخراف وعجمه في الشمس ثم تطلعه وتخرج الذهب الناتج باللب
وهي عادة موجودة عند بعض بطوري في لاس

ويذكر هيرودوت أن ناسامون لهم أيام مقدسة يترددون فيها على قبور
أجدادهم لأخذ منورهم في أمور الحياة الدنيا أو لسؤلهم عن المستقبل . (وهي
عادة مارالت متبعة عند تسوة الطوارق يمتد إلى جوار المقابر ليحتمل بأخبار
مستقبلهم وأصدق) .

ويذكر هيرودوت طريقة تصفيف الشعر وتسريحه عند الطوارق بما يتفق مع
ملاحظات مساهمة حالاً

بعد بعد سمع عربية برحانه ومورحس درعو رمان بصحاري وأنشوا
المراجع القيمة أمثال : البكري . . والادريسي ابن سعيد . . ابن خلدون .
أو لفدا . . ومن بطوطه

يقول من بطوطه في عبر الصحراء أنه يقسمه برفد وهي عينه من الدو
برحل لا يسفر في مكان ويشار بأن مساهمة جبال تيبات ويقول قيس من
بطوطه من أجل ما رأى من تساه العالم .

ويصف من بطوطه في صحراء سهر بحاري قبا مناطق حرة لامة
قبا ولا سحر ويصف لنا مساحة السطح والنباتات ومياه حديدية يحصل فيها
من قسود يوب . . من يصف لنا صحبته لقفه ب سعة قارة من ابريق
من يصف لنا وصونه حار في مظهره هجاء ورؤيه بقبلة عجيبة رحاها
منصور وساهها سافر « بطوري »

وم تترك هذه لعبه أنرا، طيب في نفس من بطوطه بعد سقوط بعض
قرماتها قاعته وأخذوا منها أقتة ويضائع، وكان ذلك في رمضان، ويقول ابن
بطوطه عن حرمة شهر رمضان إنه حتى لصوص الصحاري يتعمقون في هذا
لشهر عن السرقة فلا يمدون أيديهم إلى شيء ولو كان معموداً وبلا صاحب.

أما ابن خلدون فيقول ما يرويه عن الطوارق من شهادة الآخرين.

أما الرحالة الأوروبي انتونيو مالفونق، يصف الطوارق بأنهم جنس راق
وفرسان على درجة عالية من البهل والشجاعة. ويقول إنهم يعتمدون في طعامهم
على اللبن والأرز واللحم، وإنهم ألد أعداء اليهود، ولا يجزؤون يهودي على
لاقترب من مضارب خيامهم.

ويكون هرووت إن عباده لأجدد كذب مبهمة في سبب لفدنة وبسببه
للصحراء الليبية القريبة من مصر كانت عبادة إيريس وتقديم القرابين للنمس
والقمر وتحريم أكل الخبز ولحم البقر طقوساً متبعة.. وبالنسبة للجزء النبال
من الصحراء كانت الآهة أمثال إله البحر والمخصب والمطر تعبد.. وكانت
القرابين البشرية تقدم في القرن الثالث قبل المسيح.

ومن المحتمل أن يكون لطوارق الأوائل عبدوا آمين.. ولكن لا يوجد
ما يؤيد ذلك في الرسوم والمعاصر القديمة.. فلم يعثر إلى الآن على رسم قرص
الشمس المعروف.

والرأي الآخر أنهم كانوا يعبدون الحيوان أمثال الثور والنقرة والزراف
(العقائد الطوطمية)، يدلل ما وجد من رسوم جميلة ومعصلة لهذه الحيوانات

وبالرغم من وجود رسم الصليب في بعض الآثار التاريخية إلا أن دخول
لمسبحة إليها أمر مشكوك فيه.. وفي رأي ابن خلدون أن المسيحية لم تدخل
لصحراء الليبية.. وهو رأي خاطئ لأن المسبحة دخلت غدامس أيام

لنبطه ورومن

ولكن ابن خلدون يقول رأياً مختلفاً في الديانة اليهودية، فهو يعتقد أن
ديانة اليهودية تسببت إلى الصحراء وأن اليهود انتشروا في قبائل الحوارة
بدراب

ويحمل أن تكون بعض أجداد الطوارق من اليهود ولكن الأمر المؤكد أن
لاسلام اكتسح هذه العلة.

وقد دخل الإسلام الطوارق مع عقبة بن نافع وانتشر بين كل قبائل
الدرجة، ولكنه بالنسبة لطوارق الجبل والواخل الرجل كان إسلاماً
طبع. فعظم العادات الوثنية ظلت على حالها وظلت اللغة على حالها وبق
نفس كذا بمرأ طريقة عبادة دون أن يفهم، منه مثل لتعويذ الفمصة
لاسطوره

وهناك مدارس الدين واللغة العربية والقرآن، ولكنها قليلة جداً، وهي
بالنسبة للقبائل الرجل غير معروفة.

ومع ذلك فقد ظل الإسلام على ضعفه هو علم المقاومة الذي تجمع تحت
رايته الطوارق الذين حاربوا الاستعمار الفرنسي ولايطالي.

والاعتقاد في الجن والأماكن المسكونة والأرواح الطيبة والشريرة التي تتردد
لسبيح والجداول.. والاعتقاد في الأشجار التي تليها الأرواح، أكثر رسوخاً
عد طوارق الرجل من العصدة الإسلامية الزائرة

وشيء مألوف أن ترى رجلاً من الطوارق يرجم شجرة ليطرده منها الجن
وإنه تعلق شبحياً قديماً على باب الخيمة لتطرده الأرواح الشريرة.
أوصتصل قرن خروب لمنع الحسد.. أو عجوراً تباع أحبة وتساويد أو جلد

العادات البدئية التي ما زالت على حالها ثم يهديه الإسلام .. ومنها تلك العريه
الجسدية التي يتمتع بها الأولاد والبنات .. فقد أن يبلغ الولد سن الخامسة
عشرة ويضع اللثام ويصبح رجلاً .. يصبح له الحق في حضور « أهبال » وهو
مجلس الكبار حيث يتسامر الكل في جو مبهط مفتوح في شبه حفل مدني يعرف
الموسيقى (البراد) ، وتعزفها في العادة فتاة ثم السمير ثم الغزل ويميل كل شاب
على ثقافة إلى حواره فيها بحث آلاف في آلاف وسوعدان على احتلاص
اللقاءات في الخلاء .. ويحدث عادة أن تتم اللقاءات المختلفة في نفس البيت
حيث يجالس الأولاد ولبنات لعبة الجنس بلا حرج وبلا حيل .

و تذكره سق غير معروف في الطوارق (بحسب الأب هو كوكو و يدكور
هولان)

وفي حالات الجنس سادس نعت لب إلى لديه صكك هة مويده مديف
في ماء شربها فدا م يحدث لاحصص فاصت بأجهاصها . فبد حدث الولاده
بمخو المويده واللبت سق يعرف عفا أنها حدث دون رواج ينظر إليها في
حتفاز من الجمع

وسب عريه العلاقات الخمسة من الزواج لا يحدث إلا في سن متأخرة
لأن سنه ناسية للرجل وعشرين سنه يسه لللبت

وتبادل الجنس ليس عارا عند الطوارق وإنما العار أن يكون ذلك بين رجل
وحاريتة أو امرأة وعبيدها .

ومن الصعب الحكم على السلوك الجنسي للمرأة بعد الزواج من حيث
الحياة والوفاء ، ولكن من المعلوم أن عقاب الزانية هو الموت ومن المعلوم
أيضا أن الرجل قد يخون زوجته مع جارباته وعبداته .. وفي حالة حمل إحدى
هذه الجاربات يكون فضيحة ويحدث في مثل تلك الحالات أن تعصب بروجته

عند أمها ولا تعود إلا في حالة دفع نكاحات عادية كبيرة .

ومن الصعب محبة أن نساء جنس بين العشاق تتم في خلوة
وحصونه . وقد ضبط عرول هذه العريه على العشيق الذي افتضح أمره أن
يأخذاء العرول هدية قورية ، وإلا فإن العرول يرفع اللثام كاشفا عن
سجته ويصبح له الحق في أن يحمل يحمل غريمه في خلوته ..

مجامع
غريب
فمن
الخلع

و يروج بين فارس وجارية أمر مستهجن جداً ومشين .

والمرسان لا عمل لهم إلا الحرب وحراسة القوافل والسطو على الأعداء ،
وهو يحتقرون الحرفيين ويعتبرون العمل اليدوي وصيلاً .

وتستطيع أن تعرف الفارس من منسبته ، فهو يختال في خطواته ويختال في
كلماته ويتأنق في ملبسه وأحياناً يلبس ثامناً أحرر زيادة في الأناقة .

ورجل الدين « شريف » من الكلمة لعربية شريف . . له مكانة محترمة في
بني الطوارق ، وهو يعنى من الضرائب ، ويعتبر في مستوى الفارس بالنسبة
عنده . وهو الذى يدرس القرآن والشريعة الإسلامية لأطفال
بنيه .

والعبد والجواري وكلهم رقيق وأسرى غنمتهم القبيلة في حروبها أو اشتريتهم
من بحر يخدمون بنسائية . فالعبد يمكن أن يمتلك رهوساً من الماشية
وحصاناً ، وهو إذا بلغ سن الزواج فإن سيده يعطيه مهراً ليتزوج . . وإذا
أحب السيد من جارية فإن الابن الذى ينجم من العلاقة يحق له الميراث . .
ويستطيع العبد أن يخرج من خدمة سيده ليتحقق بخدمة سيد آخر بسبب سوء
معامله . وإذا تزوج السيد من جاريته فإنها تصبح حرة . . وبعد إلغاء الرقيق
حالياً يخدمون عدة وظنوا ملازمين لقبائل سيدهم .

ثم اصعب عرف فهم أنه محمى وكل من يروى عملاً مدوناً يحضر عدد
محدد من بطاري من الحديد ومن كل من له صفة يدور أو من بطرق
معدن ومنهم على صفة بالشاطر والحسن ويدرك يمكن بعد عهده
وسحب .

و حلاق عدد بطوري يحق الشعر ويحلق لأسن ويقوم بصناعات الخرجية
لصغيرة كالطهارة وإيقاف التريفة وعلاج الحروق

يجمع الطوارق مجتمع طبق . . . على رأس جميع القبائل نجد الأمير « أمير
كال » وهو الحاكم الأصلى لجميع القبائل ويوصل إلى الحكم وراثة عن أبيه
كالنظام الملكي . . ورمز الامارة طبل كبير يطلق على باب خيمته ويقصر هذا
الطبل عند قدوم السيوف أو في الحفلات أو في الحروب . . وخرق الطبل هو
أكبر إهانة يمكن أن تلحق بالأمير .

والأمير هو الذى يعلن الحرب ويدير حطوطها وهو الذى يقضى الخلافات بين
القبائل ، وله خليفة يبوب عنه في غيابه . . وهو يتقاضى الضرائب من جميع
القبائل .

ومن أمينو كال في السلم الطبق شيوع القبائل ثم الفرسان ورجال الدين
الرعاة ثم الحرفيون وفي القاع نجد العبد والمخدم والجواري .

والمرأة هي التي تنصب الخبزة وهي التي تفكها وتحملها على الحمار وهي التي تصنع الأدوات الحديدية والأطباق والأواني الخشبية . . وهي تستعمل في تغلبها الحمار ولا تتركب الإبل إلا من كانت زوجة لفارس أو أمير

وكل قبيلة يحرم ما عندها من فائض التمر والحبوب والمواد الغذائية في حقن وكهوف الجبل ، وعندهم عقيدة أن الله يرعى هذه الغنم ويسهر عنها بعينه . . وهم يهاجرون ثم يعودون إليها فيجدونها على حالها ، فالتارجي لا يجد بدء أبداً إلى مثل تلك الغنم . وعقاب السارق في مثل تلك الحالات شديد

وهناك أكثر من ستة أصناف من الأعشاب الجبلية والجلود مما يأكله التارجي أثناء الطريق هو ومواشيه لهدى جوعه .

والدين والزبد والجبن والحبوب والتمر هي غذاءه الرئيس ، وهو يأكل شحم في حالات قليلة حينما سرف إحدى مواشيه على موت مديحها وحسب بحسب المراعى فيبيع الباقي التي يراها غوت جوعاً أمامه . . وهو يأكل لأرب و بفرلان والجراه . . والجراه المشوى طعام فاخر عنده . . أما عند ندحج فيعتبر بحسب مثل الخنزير وبالنمل السمك . .

ولا يجوز أكل ذبيحة لم يقرأ عليها اسم الله ولم تذبح وفقاً لسريعة الإسلامية . وواضح من أنواع التحريم أنه يجمع بين التحريم الإسلامي والتحريم الوثني .

والأكلة الشعبية هي نوع من العصيدة بالدين .

وهم يستعملون الجبن البضع والطماطم والبصل في تصيب أنواع من الصلصات . وفي حفلات الزواج والحفلات الدينية تذبح دابة وسوى على النار وتقدم مع الكسكسي وتحفظ الرأس والعنق للساء . ويقدم الفخذ والحوش والصلوغ لضيوف .

وهي تاكلون بالملعقة . . وعادة الأكل بالملعقة عادة غريبة بالنسبة للحياة الحديثة التي يحياها التارجي . ولكن تفسيرها هو حرصه على عدم رفع اللثام أثناء الأكل وبالتالي احتياجه إلى وسيلة كالمعلقة لدس الأكل في فيه .

ولابل والماعز والمائسة والحمير والكلاب هي الحيوانات التي يربها تارجي

وهي في العادة يحتمون إيلهم بعلامات خاصة . كل قبيلة لها علامة مميزة يحتم على رعية الجمل أو ماعز بطلاء أحمر .

ورأس ابل عندهم أثمن من ورنه ذهب ، أما الحمير فلا يهتمون بها ، وأحياناً لا يعرف القبيلة عدد حميرها وأحياناً حينما ينسح المرعى تترك القبيلة جزءاً كبيراً من حميرها ويرحل

وهي تصيد برال وبقر الوحش والزراف . . يخرج أربعة من الطوارق معهم عشرة كلاب في فرقة صيد ويطاردون الفريسة حتى تسقط إعياء ، وهي في حالة عريه وسببه كدبه ، أما بقر الوحش ، وهو حيوان شديد البأس ، يدافع عن نفسه حتى الموت فيحتاج الأمر إلى حصار وقتل بالحراش أحياناً ينهب صيده عدد من الكلاب أو الصائد نفسه .

وبكبر الآن يستعملون البنادق في كل شيء بدرجة تهدد وحوش الصحارى بالانقراض

وعدد سبعة إذا طاردت قبيلة حيواناً في أرض قبيلة أخرى واصطادته أعطى جلده ورأسه ونصيباً من اللحم للقبيلة صاحبة الأرض .

و طوارق رحل لا يزرعون الأرض احتقاراً للعمل البدوي واحتقاراً للاستمرار ، لكن في بعض الأماكن حيث يفرر المطر وتكثر العيون الجوفية يجد

التارجي يزرع القمح والشعير والجرور والعنبر والبصل والبطيخ والسمك
ويجد حدائق من التين والعنب والتفاح.

لكن مثل تلك المروغات تصبح تحت رحمة الحر والبرد والعواصف
والسيول والجفاف وتجذب الأرض واعتماؤها مع تكرار الزراعة ولا ترحى
يسر عنه طول بال الصلاح ولا صبره . وهو ما يلبث أن يهجر الأرض حتى
أجدت دون أن يفكر في إصلاحها .

وهو حينئذ يزرع غلباً كل لا يبيع

وسعادته وهو يضرب في الفلوات تعدل محصول ألف فدان . . يكفيه ما يحب
من أبهى إبله وما يتقطف من بلح وتمر في الطريق وما يحسود به المرعى . ود
جف فأرض الله واسعة .

وليست من عادة التارجي الاغتسال يوماً بسبب تسخ الماء في الصحارى
وهم يقولون ان الاغتسال يوماً ضار بالبشرة وهذا صحيح نظراً للملوحه الباردة
وجفاف الجو كما أنه يؤدي الى تشقق الجلد . . وهم لهذا يستعملون مرده
لتطرية . . ويتوضأون للصلاة بطريقة التيمم (بالرمل الجاف بدون ماء)

ونكثهم شديدو العناية بأسنانهم فهم يستعملون السواك والمضمضة بالماء عدة
مرات بعد الأكل .

وهم يحلقون للأطفال رؤوسهم الا خصلة يتركونها في الوسط .

والنساء يصفرن شعورهن صفائر كثيرة على الجانبي ويسمى نرد
للسعر

والنساء والرجال يحلقون شعر العانة ويقصون أظفارهم ويكحلون عيونهم

ويحلقون شعر الأظفار تدفن في مكان بعد حتى لا يسحر عنها أحد أو يقرأ
عليها ما يضره

وأيضا غير معروف لكن يرى بعض الناس لونه

ولي يهرجوا قد يجد مرء نفس على وجهه رسوماً عجيبة : طريقه
هي . . بعض كبرع من شهرج أو كبدن طفوس وسيد

ومرء يد حبه قصر من الرجل وأكثر سمكة واستدارة وهي ذات عيون
. . سمكة كحمة وحمية عالية ويدين دقيقين رقيقين . . والسمة عصب هام في
حده حنسة عند الساء وهن يتوسلن اليها بكل طريقة ويأكلن أبواها
حده من الأعصاب يعتقدن أنها تسمن (كالمفتقة عندنا)

علاج
الامساك
بشجر
الاجرجر

وأي مرض عندهم قسبان : مرض جسدي يعالج بالأدوية ، ومرض روحي
يعالج بالسحر « أسمى كبلو » .

وعلاج من تلبسه الأرواح الشريرة هو إلقاء الرعب في قلبه عن طريق
رقصه بحذاء الأقمعة لتحليلها انصرحات و لطبول حتى يفقد الوعي ويدخل في
غيبوبة يخرج منها الروح الشريرة وتخرج مدعورة ولا تعود .

وهم يدرسون الجراحات البسيطة كالطهارة وعلاج الجروح وتغيير الكسور
ويقطع الحادث بعد الطهارة يدهن عادة بالزبد

وأيضا وحسن المظهر مسألة غاية في الأهمية بالنسبة للتأرجح . . أهم من
الطعام . يتألق ويغتال . .

وأيضا رقص أصحاب قامة طويلة وفرع باسق وأكتاف عريضة ، وهم يرفعون
رؤوسهم في عز رحمة عيون كاهنهم أمراء أسطوريين ويلبس الواحد منهم
سروالا واسعا يغطي قدميه ، وفوق السروال عباءة فضفاضة بيضاء أو زرقاء
أو ملونة وعلى برأسه تاج من الذهب يعلو ويغطي الرأس ثم يسدل كالندم
فوق التاج ، ألياف فلاسكي ظاهرا منه ، لا يعسا لسوداوان ، يرافلون وفي
لقدميهم نعلين صندلا

وأيضا رجل نحس بالحول ، القصص المرعبة والأساور منقوشة من حجر
الزجاج وعلى الأساور يكتب عادة عهدا بالوقاء للحبيب أو دعوة بالقوة
وأيضا في بعض

وهم يمشون في حمل لأكاس حديدية لأشدهم جرب حدي للولاعة
وجرب حدي بسوك وجرب حدي بالبر وجرب حدي في أمه
فرسه أو يمشون بحملي في سلسلة مدلاء على صدره

الطوارق أطباء بالمطيرة .

وهم يطيبون المرضى بالمصعد والكي والمحقن الشرجية والعلاج بالأعشاب
وعندهم ما ينسبه تذكرة داود وعلم ظير بالأعشاب العاصية والمسهلة
والمهددة والمدررة بلبول وحقوه للقلب ، ويستعملون الورق الأبيض والصفوف
والمسحوق والدور والحذور بقطعه زجاجا وصلب إلهه عن طريق العرب
وهم يستعملون لبن الحمير كعلاج للحمال .

ويجمعون شجرة الأجرجر ويدقونها ويستعملونها علاجاً للإسك .

ويداؤون لإسهال بسجرة القوي

وبالنسبة للنساء هناك تصانيف أكثر من الخلى .. هناك حيوات من عصبه
كثيرة ذوات العصوص وأحياناً يدل العصى عند علة صغيرة للمطر وليس
المرأة انتى أو ثلاثة من هذه الخواتم الكبيرة فى البد الواحدة .. وهى دى من
لعصبه .. لأن الذهب مكروه عند الطوارق ولا أحد يتحل به لأهم بعدون
أنه مجلبة للشرب والطعم

وهناك رواية يرونها مؤلف من تيوكتو عن رئيس الطوارق (أكيل) ادى
كان يرفض أن يلمس الذهب بيديه لأنه يحلب الحس.

والأساور لمقونة من العصبه والمحلة بعصوص اللؤلؤ .. والأساور
الرجاجية والأساور الخدية المحلة بعصوص كريمة .. وعلاوة على ذلك من
العنق وفيها عصى من العاج ، والكردان .. والسيف ذو عصى لأحرار من
المرجان .. والديابات العصبية المزركشة .. كلها حل ضرورية بالنسبة
للمرأة .. والحلق يكون عادة من العصبه وكبير ويتدلى على العنق.

وفى شعور ولفائف حل أخرى تتدلى على الظهر .. هذا عدا لاجه
العصبية وجرب تكحل وجراب الإبر

والنساء لا يلبسن هذه الخلى إلا فى الأفراح والمهرجانات.

أما فى أيام العداية فتودع هذه الخلى فى صناديق ذوات أقسام عديدة تحمل
تأرجحى مفادها فى حله وترجانه.

والمرأة تتأرجح صابحة ماهرة ، وهى التى تسليخ الجلد وتدينه وتصلقه وتصنع
به الخيام والخلى الخدية والصنادل والحفاشيب .. وهى أصب من تصنع من
الخشب أوباد الخيمة والصحون وأواني الخلب .. وهى التى تصنع من نفس
العصبه والخصر وهى من عصبه من عصبه حار حار

وهى تودع عملها دائماً بدرجة عالية من الدقة والتمس.

وتصنع أدوات من حديد وعقيق يتحرق بها تصنع أسدين من تلك الأدوات
ولا يركب عصبه .. وتصنع باليدى وتعدى هذا حب لأصدقائهن
وصابحة حديد وخشب ونفس ونصوف هى الصنادل سارحة الأصدة
وهى تودع وتكون وحشيش وملاح نمره

من حديد وصناعة مطروحات وسكبل عصبه والنحاس وصناعة لأفعال
وخصب ، بولاعات فحص بها « لاسدس » كما ذكرنا ، وهم من أصل
يهودى .. وهم يعتمدون على صهر العملة الفضية كمصدر لحام الفضة .. أما
عدد من صهر الخردة والعلب الفارغة التى يجمعونها من الطريق .. والنحاس
من صهر حرقوس لفرع .. وتصنعون منه الأقفال والسكاكين ولا يبر
وتلائق والآلات تدفعه

من الأسلحة وهى مسورده فى أعين الحلال لكن بعض المعدن من
سكن فى أماكن يوجد بها خام الحديد بكثرة تشتغل بتعدين الحديد وتصنع
محار والمخرب والأسلحة

أما صناعة الفخار فقد استخدمها العبيد .. وهم الذين أدخلوها للطوارق ..
وهم الذين يصنعون الطواجن المخارية والأواني المختلفة.

ونظام المواقف فى الطوارق يختلف عن نظام القوافل عند المبرب .
وطوارق يركبون دائماً فى مقبلة قوافلهم لاستكشاف الطريق ويتركبون وراءهم
مرسدين يوجهون الإبل للاحتفاظ بالصنف (والسيف هو ارتفاع وهبوط وتعرج
طريق حبه

من مركب يركب فى موحده قوافلهم ويتركبون الإبل منه حرة دون مرسدين

لسبب واضح أنهم يسكنون غلوات مبسطة لا عوائق فيها وهم غدا يكسعون الطريق كله من مكائهم في تلؤخرة ويوجهون خط السير دون صعوبة يذكر ويدعون الفرصة للإبل لتتفضل وراء العشب كيها شامت دون قيود الصف . فالأعشاب شحيحة ومتفرقة في الصحارى وليست بالكثرة ولا التركيب كما هي في الوديان الجبلية .

و يتوارق أحياناً بؤخرون الحر من الفواصل سحرية مقابل نصب معلوم من الصنائع وأحياناً يعطون الأمن بقاعه لمر في أرضهم مقابل صربية محددة وأحياناً يقدمون إبلهم ومرتديهم للقوافل مقابل عمولة . . . وهي مناسبات تشكل لهم مصادر منجية للدخل .

ولم تكن هناك عملة مصكوة خاصة بالطريق . . وإنما كانوا يعاملون بمقاييس ويعتبرون مقطع الفأس وحدة للتبادل . . ولكن الجنيه التركي الذهب كان عملة مقبولة .

و بقاعه عند خروج بطوارق موافقهم لمقاييسه في السودان أنهم يتركون سده والسبوح ولا طفل في مصاريهم ولا يخرج بالرحمال ، لا برحال يقدرون .

وقطع الطريق على القوافل اسرقة والسطو هو عادة بعض قبائل هجر ، ويسكن كلها ، والفرسان يحكون عن هذه المغامرات في مجال التماخر والزهور اسم اسماء . . وهم يقومون بها بدافع سلب الخيل والثياب الجميلة لإهدائها بعشقات والحبيبات .

والصيف هو الموسم المختار لمثل تلك المغامرات لأن الجفاف والحر وسح امرعى يدفع القبائل لتفرق بجنا عن العشب .

ووضع الخطة في المساء ثم يخرج الرجال في ارنحال سريع بعية انقصاصه معاحة قبل الفجر على خيام القافلة .

وبعد معركة سريعة يفر الحراس عادة ، فيقوم اللصوص الإبل ثم يدخلون الخيام ويجمعون ما يجدون من حلى وثياب ويقرنون .

ويحدث عادة أن تنقض القبيلة المعتدى عليها في هجوم مصاد يرصدون به كرس خاصه عند ليلار من معروف أن اللصوص سرادوب في طريق العودة ويحدث لاسدع وبيع من وجرعى كثيرين .

وأحياناً يحدث اتفاق سلمى وتدفق القبيلة المعتدى عليها ضريبة محددة من ليلار والنياب في مقابل تسوية معقولة .

ووضع الطريق على القبائل اسوديه يكون عادة هدف حطف بيات ولاولار ليعهم في أسون الحساسية أو سعادهم كصيد .

أما الحروب المنظمة بين القبائل فأكثر ندرة من حوادث قطع الطريق وهي تحدث عادة لأسباب سياسية . . . سارع على السلطة أو خلاف حول المراعى وهم يحاربون ساء موسماً حروبهم حيث تكون كل قبيلة قد جهزت نفسها بحرب من الفروس والمواد الضدانية .

ومن مفايد الحرب ألا يعتدى على النساء الأخرى .

والاعتداء على امرأة أسيرة وحيدة عار لا تمحى في جبين المعتدى وقبيلته . . . وكثير ما حدثت سلسلة من الحروب الانتقامية بسبب مثل هذا الحادث .

والأسلحة المستعملة في الحروب هي السيوف والخرايا والخناجر والبط . . . العيد فيلحون بالحصى ولا يحمل الدروع إلا البلاء ولرؤساء والقواد .

وقد دعت ابيدق والمسدسات والرساسات الحروب الغيلة بعد رحيل
الفرنسيين.

وأول رحلة غربي اكتشف الطوارق هو الانجليزى جوردون لانج ١٨٠٠
لدى بدأ رحلته من طرابلس إلى ميوكتو عابراً اغدامس وفى الطريق يعبر
على الشيخ عثمان «شيخ منطقة الروية» الذى دله على مسالك الصحراء
ولكنه قتل قبل أن يتم رحلته. قتله الأتلاء العرب الذين كانوا يرافقونه.

وفى سنة ١٨٤٩ استطاع الألمانى هيرى بارت أن يتم الرحلة التى لم يستطع
زميله الانجليزى امامها. فوصل إلى ميوكتو ثم عاد إلى طرابلس ماراً بكل
قبائل الطوارق فى المنطقة.. وبذلك دخل التاريخ مع الرحالة المضاء مسار
للمجستين وستانلى وبراى.

وأول مرجع وافى عن الطوارق هو ما كتبه دوفيريى الفرنسى فى رحلته
استغرقت ٢٨ شهراً، واتفق فيها الشيخ عثمان والرئيس التارجى حوج
وقد حدث بعد ذلك أن دعا دوفيريى الشيخ عثمان إلى باريس وقدمه إلى
ناپليون الثالث

وأعقب هذا اتفاق محمى بين فرنسى فى ممر تر وبن الطوارق
وبعد ذلك بدأت المعاداة ورفع الطوارق مستعمون شعار «لا كهار
ولا مسركين فى بلاد» وبدأ يقتيل بطرد كل منعه غريبه بحوار اجتراف
لصحراء.

ونوقفت البعثات عشرين عاماً.

وفى عام ١٨٩٩ عاد الرحالة فوريى ومعه ثلاثمائة رجل مسلح ليفتحه صحراء
الصحراء.. وهذه المرة استطاع ابيدق الحديثة والمسدسات معده

ضربت أن تنتقم الملعنة. ووقع فوريى العلم الفرنسى على واحدة عين صالح
وأعد احتلا.

وحاول الطوارق بقيادة «تيب» الهجوم على العرة الفرنسية ولكنهم عاودوا
وقد تركو وراءهم سبعين مسلحاً
وبعد ذلك بدأت القبائل التارجية تعلق خصوعها واحدة بعد أخرى.

اللغة
البربرية
و
البربر

وتند ظلم والاستعمار يجب الكل .. كما يجب نحوما العرب يجب أخيرا
نرحم ويتقص سليمان البارودي البربري .

وقد عرفت القاهرة سليمان البارودي حينما كان يصدر جريدة الأسد
لإسلامي

بعد أطلق سليمان شعر لحية ورأسه وأقسم ألا يخلقه إلا حينما يخرج آخر
حدى إيطالي من أرض الوطن .. وقاد الكفاح الليبي ضد الاستعمار الإيطالي
وسافر إلى تركيا ثم الهند ثم تولى في عباى وما زال له فيها قبر يرار ،
وفي اللغة البربرية يستعمل حرف (ت) للتأنيث كما في عربية :

تت سط

دعاه برسط

حصن نحر

عرب بحرب

وفي عريف الأفعال تصادف حرف (و) كند على خاصى ويصادف حرف
أ ، كند على الأمر وحرف (س) للمفعل كند في العربية

فعل سع

فعل سمر

فعل سبع

فعل سح

فعل سواذ مثل فعل يأكل وفعل سام :

بطون الشهب لأفريق في سادى حين بموسه وروراء وفي جنوب تونس
وفي ودى مرب بطرثر محمد بنعه البربرية والبربر

وقد رأينا أن اللغة البربرية تدخل في تكوين اللغة الناحية ويدخل في
تكوين اللغة الغدامسية ويدخل في شعاع سكان الدواخل الليبية .

وقرأنا في التاريخ أن البربر هم أصل الطوارق ، وفي إحدى النظريات أنهم
أصل القراءنة أيضا .

وقد استطاعت الصحراء الليبية أن تذيب العرب والطوارق والبربر في
شبكة واحدة متسقة ذات وحدة وطنية .

الكلمة العربية	بكلمة اعرابه
مل تل	لا بصر
رطف	الاسود
ارفع	لا حمر
وراع	لا حمر
بيس	ب
س	هو
سك	ب
بي	هو
ب	ياكل
يططس	ب
س	ب
باع	ب
سيبو	لعمبر
بيارط	لعمبر
برق	لعمبر
طعنا	الافهمي
مدرديت	لعمبر
أرسب	لعمبر
مكت	لعمبر
فوناس	سور
نقود	لعمبر
باججاس	لعمبر
بري	لعمبر
رعدوك	لعمبر
مران	لعمبر

ياكل س

كل يشو

كل اش

سوف ياكل سايس

وق فعل بدم يستخدم الحرف في حذف حرف (ط) بدلالة على الماضي

بدم يططس

بام : يطس

سينام : سيطس

لم : اطس

وتجمع يضاف حرف (ن) :

حمل : انغم

حمل : ابلغس

حصان أحمر

أحصه : أحمر

دك : رباط

ديوك : ايربط

دشب : أوش

دئاب : أوش

ومن الأغاني الشعبية البربرية التي يغنيها في الأعراس مثل أغنية « مروي
عليكي يا عروسة » عندما .. هذه الأغنية وكلبتها بالعربية :

رأيتها نائمة وسرها مشائر حورها

والأسطورة تلمع في يدها

كانت متكنه

ونظراتي تحج البها

كي يحج نظرات المؤمن إلى مكة

بل أكثر : استغفر الله

رأيتها تسير

وعودها يساب كالسبعة

معبأة بكل ما يخطر ببالك

من عطر وعطور وطلع حيلة

وكتبتها : بربرية

ر : عطف صطس

عطف : عطف

ربيع : دوقس

ر : عطف نك

ر : سحب حرار مك

لا : عطف

ر : عطف سحر

المحدث : أماليبور

يا : عطف

أبلا : عطف

والأعراس الشعبية لها تقاليد طريفة عند البربر.

أول يوم في الفرح ويسمونه فرس الحسيرة « إيساين جرنيلت » يطعمون
الرعيدي والبحور وتغني فرقة من المبد « وكل المعنيات والراقصات عبيد
سرو ولبوا من البربر وهم نسل الرقيق القديم الذي أعنتق وظل يخدم سادته
وتوارث هذه الخدمة أبا عن جد » ، والبربرية لأصيلة وهي عادة يضاه
وحداً شقراء لا تغني ولا ترقص وإن كانت يعصهن رحلات وسعرات ،
في اليوم الثاني من الفرح تقدم البصرة وبها الكسوة والخلة والسواك
: سحر يحملها جارية في موكب وغاريد من بيت العرس إلى بيت العروس .

وفي الليل تقام حملة ساهرة في بيت العريس .. رقص وغناء وزغاريد ثم
ينعدم أحد المغنين بعيد وبعد بحسن مصادر عن الطبخ في معابد معطلة
« أيريج » وفي ثالث يوم وهو يوم مشهود يشرف السلطان « العريس » في المساء
مع حاشيته ويجلس وعند قدميه يجلس عبيد .. وفي نفس الوقت سرور
السلطانة « العروس » لتجلس مع أترابها من البنات

وتطول جلسة السلطان وهو يتلفت حوله في الألة (وهذه الألة جرة من
التفاليد) ثم يمد يده إلى العبد الجالس عند قدميه معطيه راحته عطر ومع
محة مالية ويذبح تفتتح الحفلة وبدأ الرقص والغناء .

وفي الليل تسير السلطنة في رفة وتعمل لمة على قدميها في البلدة على صوة
المشاعل وأنغام وزغاريد مرقة العبد والأعنة لى بردودها في تلك المساحة

باللأيا روح

بدرت م طوح

ومعها هيا ما سدى سرعى لخطو فالتبت بعد

وفي ليلة الدخلة يسير موكب يتقدمه أقرباء العريس إلى بيت العروس
ويأخذون السلطانة إلى بيت عرسها .. وأثناء الطريق يطق العبد الموكب
ويحجونه علامة كبيرة تخفيه عن أعين الفضوليين .

والبربرية لا تزوج إلا بربريا .

والحب العبدى عندهم موجود ولكنهم يحافظون جدا على درجة البربر
فلا يلبس مخفى وراء حجاب ولا يخلط بالرجال ولا يستطيع أن يختل حبيب في
حنوة . ويتعارف لا يزيد على نظرات مختلفة .

والأمة هي لى سلطان وتختار لايتها ثم يتقدم الأب ليحطب ويكتب الكتاب
بهر رمى ٢٥ قرشا كما هو متبع في الشرع ثم يسرك بروحان في الأثاث
وحمار

وبسبة للموت تكتن المرأة يوضع وشاح أسود حول رأسها لمدة أربعة
أسهر وأحيانا وشاح أحمر « افكاي » . وتجتمع النساء في مجموعات ليكن
« نوع الرحمة » ويستترك الجيران في جنب الطعام لأهل الميت ليأكل
لمرور . وفي اليوم الثانى تذبح ذبيحة توزع على الأهالي وتلى الختمة لمدة
ثلاث ليال « الجيران » .

والجنتع البربرى مجتمع استقرار يعتمد على الزراعة (الحبوب والزيتون
دبس والرمان) . وهناك صناعات غزل وصاعات جلود وأحذية يحترفها بعض
بربر ولكن صناعة الحدادة تتوارثها أسرطان كلتاها غير بربرى

وصفة الصعرة الرائدة هم الموظفون الإداريون وفقهاء الدين ومسؤولهم
« لمره » وهم ليس يقومون بالإفتاء وتعليم القرآن والشريعة وكثيرة عقود
لروح وطلاق

وهذا منه من كبر الملاك

ومسوى نفسه مرفع سمسما من البربر والإقبال على تعصم كبير لأن كل
وحد يحكم بأن يصح « عرايه »

وسواحد وللاحة وتليفريون و بربرسيور والكادلاك والبويك دحب
حبل نفوسه

أما العبد والسود فيؤلفون طبقة داخل بعضهم ، تحترف الزراعة والرقص
والغناء والخدمة في البيوت .

ويعنى السود فى أعزهم أغاني تكشف عن ماضيهم الطويل لهم

باباى من كاوار

وأنى خادم

والى جرى لى ماجرى لى آدم

باباى من كاوار

وأنى حرة

والى جرى لى ماجرى للصره

ولكن بعض السود معطوطين استطاع أن يتعلم فى الجامعة

وبعضهم دخل الجيش والبوليس .

ولا يوجد مسيحيون بين البربر

وكنهم معاقطون إلى درجة الترتب .

وهم يتبعون المذهب الأبيض

والمذهب الأبيض يختلف فى بعض شكيلات قليلة عن المالكي واساسى

والحق . مثلاً عندهم لا بد من البسمة مع كل سورة

والصلاة تبدأ بدون رفع اليدين إلى جاني الرأس .

والتشهد بدون حركة الأصبع .

وختلافه تجوز من خارج البيت الهاشمي لأن شرطها هو الكفاية الخلقه

وإندسية وليس الدم الهاشمي

وقى ضرهم أن على من أى طالب أخطأ حتى قبل التحكيم فى وقعه الجمل .
وقد سب أن الموافقة حدثت بين جيش معاوية وجيش على . . واكتشف مصداقية
سنة أن عروسته فى التصرف قليلة فأمر برفع لمصاحف على أمانة الزمان وطلب
حكمه

فى نظر الأباضية أن علياً أخطأ يقبل التحكيم لأنه صاحب حق فى
حلاله . ويصرف النظر عن هذه الفروق الشكلية بين البربر شديداً الإيمى
وسديو الحمك بأخلاقيات الإسلام . وهم ودعاء أمة قلما يصل بينهم شجار
وخلاف إلى درجة البوليس . لأنهم يحلون أكثر مشاكلهم على المستوى العائلى
وعندهم كلمة « رجل جالى » مرادفة « لرجل أمين »

ابناء

نوح

مصارم تحب برعه
ومسطور تحب القبطسي لقدماء
وكعب تحب البربر.

وكعب بربر جاءت من الجبل الأكبر بربر بن قنلا بن ماريغ بن كنعان بن
نوح
وحاء البربر في هجرة من الشام إلى شمال أفريقيا ثلاثة آلاف سنة قبل
المسيح أي قبل التاريخ.

وكان الرجل مهم يسكنون الخيام من التمر والوبر وبعض الذين استقروا
عن الزراعة في الوديان كانوا ينحتون بيوتهم في الجبال وينقرون في الجبل
عمرات كاملة عمارة وما زالت بعض هذه البيوت المصنوعة باقية في جبل
عوسه وفي جنوب تونس وجبال الأوراس.

وكان من البربر بقدر هو امون ومظاهرة لشمس ودمر وكعب ذو
البربر وكانوا يقدسون حرمه والطاوس ولقط والصعدرة وسلاحف
وكانوا يقدسون من مثل هذه الحيوانات يصيهم باستل وحور والمهاد
وماريت عمنه بحرم صيد حرم باقية إلى الآن في أنحاء كثيرة من المغرب
وعند بربر في عن والأرواح هي تسكن بياع الحرة
وكعب لأن عندهم مقدسة وكانت يحكم على القبيلة ونوس برحان
وكان من قدام سب لأنه لا لأبه

والسعدوا لغة منطوقة ومكتوبة هي اللغة البربرية... وبنقة المكتوبة بها
«مغشغ» وهو نفس الاسم المستخدم في اللغة التارجية.

في كتاب العبر لابن خلدون يروي لنا ابن خلدون عن مسخرة عائلته نوح
وأولاده قائلا: بن نوح تحب ثلاثة أبناء هم سام وحام وعبث

أما عرع باب فهو الذي جاء منه سكان شمال أفريقيا الذين استوطنوا هذا
المكان من بعد نوح قبل البربر وهم أحفاد ما قبل التاريخ الذين يطلق عليهم
الكروماجنون. ويقول عنهم ابن خلدون أنهم كانوا يقدسون الشمس والقمر
والنكش والقرد والشور وكانوا يقدسون الميت في وضع حصى لا عتفهم بأنه
سوف يبعث كصلاد حسن من يطي الأرض

ثم عرع نوح ثلث «حاه» فهو قد عطا ثلاثة أبناء هم مصاريم
ومسطين وكنعان..

وبرحمه كعبه يفتح مخروف نزل من عند الله

وكثير تكلمت ببربره محمد في تلك الناحية بصها

وحين دخلت معه لعربيه مع لإسلام مصر في بربره الكلب العربيه
بوصافه التاء إليها :

ندر	تدرت
الحاوت	تاحت
الغاية	الغابت
الجنة	الجلت

وهناك أمه سعد بربره تسم في المعنى أسب لعرب

امسى تنورد است - يلقى المعصم في الكرشة

ويستكن بطاود - من صبر ظفر

اغرم ويتر ابي ديواس - الدنيا لم تبن في يوم

طيطس أنا وساعت - أبو عين فارغة أبو عيون جريئة

تالوت سوراف الابلاسيقطار - الشفاء بالدرهم والمرض بالقطار

وقد أقام بربره دونه بربره كبرى كانت تسجل ليل والمغرب ومورسانيا
وحفظ لنا التاريخ أسماء ملوك عظام أمثال صفاقس ومصيا وبوغورطة و...

وقد غزا الرومان الدولة البربرية وأسروا ملوكها وساقوهم مكبلين بالحديد
في سوارح روما وجدوا ألوف البربر في جيوشهم بالسحرة .

وبروى لنا لدرج لمعرك بين يوبوس قصر ويون

وبروى لنا لدرج لمعرك بين يوبوس قصر ويون
وبروى لنا لدرج لمعرك بين يوبوس قصر ويون

وبروى لنا التاريخ أن أحد الأباطرة الرومان سموس سادروس كان من
أصل بربرى وأنه أنصف البربر ومن القواديس بمساوهم ببروماني في عهده

وبروى لنا سموس سادروس قد في أحد مبادئ هرائس في لال

وقد تعانت الديانات البربرية القديمة مع الديانات الرومانية ، فكلها كانت ديانات
و...

وحين جاءت المسيحية كان البربر أسرع من الرومان اعتناقها ، فقد
وحدوا مع خلاصهم وملا

وفي عهد الامبراطور صوكليسيان أحرق وقتل آلافا من شهداء البربر
ب...

وحين دخلت روما المسيحية . . أنشأ اثنان من انقسط البرابرة مذهب
سبع خاصا اسمه الوثوتسية . واعتنق الكثير من البربر اليهودية نكابة في
بروم...

وبروى لنا تاريخ سقوط الحكم الروماني على يد قبائل الوندال اقبائل
جرمانية غريبة من بلاد

وبعد موحه غزو بوندال على موحه غزو البريطي

وفي سنة 6٤٨ روى حكمه عثمان بن عفان يدخل لمعرك المسلم عبد الله بن سعد عن
من جيش من عشرين ألفا لحارب مائة وعشرين ألفا من البربر فعاده حرجير
تبرى وسخر عنه وعنه ويدخل لإسلام لأول مرة في البربر

بكلمة بربرية	بكلمة عربية
عاش	عاش
كراء	نكرهيه
سلا	لعرح
بودد	انورده
سحرب	لسحره
موس	نطقس
نطوح	امراء
رحار	لرجس
عند	عشاء
بسم	سحاب
اس	ماء
عاقوب	سار
عنى	نقى
رورين	نصيب
مطكن	سنى
رمور	لرستون
عرون	عشر
برند	لصمع
طسرين	اسعر
نلى	اندرة
نصفه	البرسم
حار	حصار
عم	حمل
أوسير	دسب
و	لأسد

ولا يبقى أثر لهذا الطوفان من الغزو الرومانى والوندالى والبيزنطى .. لا نجد أثرا من
وثبة أو مسيحية أو لغة رومانية أو جرمانية أو بيزنطية برغم سنوات من حكم المسيحية ..
وحتى انهم لم يدرعهم بلغة المحدثين ودينا ليصبح الإسلام هو الدين الوحيد والعربية
هى لغة أسلاف لأفريق كنه

وسمع الآن فى جبل نفوسة ، فى مولد النبى ، البربر يشيدون المذبح النبوية
لمؤنة بلقهم البربرية :

بانا يرفد تلقى .. اس مكة استوصيت أشركن

عجال الدين انرييس .. ييوض الدياغ سيضفا عن

ومعناها

ما أنشد ما لقي النبى من عذاب

من مكة وطنه أخرجته المشركون

ومن أجل دين ربه

رحموه بالأحجار حتى نزل دما

كلمة
الله
في
الصحراء

كل روية مسند على مكان مربع حصص تكون كعبه

ويكل روية مسند ومدرسة ومكتبه وحدائق وأراض موقوفة.

والروية ملكه عامه للنظام نفسه هي والأراض الموقوفة عليها. وروية
علائ لأراضى يد كى هناك فاص برسلى للمركز لمرسبها بدوره بل روية
بى بدورها

وكل فرد من فرد بمبائل يتبرع بحراث يوم وحصاد يوم وفراش يوم
أرض براوية. وذلك بسهيل بغير دون بعه

وكانت الزاوية بمثابة استراحة للفواهل ومركز تجارى ومركز احمى وبحرى
ومصرف وبيت الصباغة وملجأ للفقراء ومدرسة للقرآن وحرم أمن ومد من
مساحة للتدريب اليومى على الرماية وإطلاق النار

وبخري المسابقات وتعطى الجوائز لأمهر الرماة

وكان حفر الآبار وبناء الصهاريج واستصلاح الأرض البور واجب كل
راوية فى المكان الذى تقدم فيه

وكان يوم الخميس من كل أسبوع مخصص عنهم للسجل بالأندى.
فيكون الدروس فى ذلك اليوم ويستغلون بالنجارة والحداوة وغزل الصوف
وفتح الأرض. لا يجد منهم إلا من يكذب ويكذب وعلى رأسهم الشيخ السنوسى
نفسه

ولكل زاوية رئيس هو شيخ الزاوية، ومجلس يضم وكيل الراوية وسبع
القائل وأعيان المنطقة

ومن شيوخ الروايا جميعهم يتألف مجلس أعلى يرأسه السنوسى.

وهو نوع من سطر هرمى فى نفسه فاعده من لأشع وهرميين. بينهم
فى على شيوخ عدس م شيوخ برويا م شيوخ سنوسى

ويجمع المجلس الأعلى للنظر فى سير الحركة مرة كل سنة.

وخذ النظام من برقة مركزاً للدعوة.

ومن برقة اتسع نفوذ السنوسية ودخلت صحراء جزيرة العرب حيث اعتنقها
عدد من القبائل كقبلى الحارث وبى حرب كما انتشرت بواسطة الحججاج فى
بى روى الروايا فى المدينة والطائف والحراء ويسع وجهة

كانت السنوسية دولة داخل دولة.

وكان السنوسى يحلم بإعادة بناء العالم الإسلامى وتوحيده بتكثير هذه الخلايا
حتى تنتفع الأمة العربية فى داخل هذا شكل التنظيم الجديد من الانتزاع
لأسلاب

وبكى الاستعمار الإيطالى الراحف من الشمال والاستعمار الفرنسى الراحف
من الجنوب لم يجهل هذه الحركة حتى توفى ثمرتها. وما لبث أن أطبق عليها
بكلالة عدد دى

فى لحظة وحدت السنوسية نفسها فى موقف الدفاع

واطلق الرصاص من عشرات الروايا فى أعماق الصحراء.

يعول دويريه إن السنوسية هى المسئولة عن جميع أعمال المقاومة التى قامت
صد فرنسا فى الجزائر وأما السبب فى الثورات المختلفة التى قامت ضد فرنسا
كثورة محمد بن عبد الله فى تلمسان وعصيان محمد بن توكول فى الظهرا

وفى سنة ١٨٩٥ كان علم المقاومة للاستعمار الفرنسى فى الجنوب. فى يد

السنوسية وحدهم .

وكان محمد البراقى يجمع الجيوش من الطوارق والبدو والبربر لمقاومة الزحف الفرنسى .

وكانت الأموال والأسلحة تتدفق من التلاميذ والمريدين .

وفى خطاب مرسل من أحد تلاميذ السنوسى إلى مدير غدامس التركى يكتب التلميذ :

« وقد وقع القتال بيننا بالبارود والسيوف حتى كسرناهم كسرة عظيمة وقتلنا منهم نحو ثلاثمائة وستة وقاتلنا رجلا وغنمنا من الخيل كثيرا والبنادق بلا عدد والحزنة والإبل والأخبية والحمد لله على ذلك وبركة شيخنا معنا . »

وكانت من تقاليد الطريقة السنوسية مناولة السيحة والسيف للتلميذ حيا يتم دراسته ، ويكون ذلك بأن يلبسه الشيخ الجرة أو الحسرة ، وبعد أيام يناوله السيحة ويلبسه السيف ويأمره بالصلاة بهذا الزى .

وفى أورده المؤرخ أحمد زاده :

« إنه من الواجب على كل فرد من السنوسية ما دام قادراً وغير عاجز أن يكون مستعدا للطوارئ متهيئا للحرب منتظرا للأمر متقدماً له بكامل طاعته . »

ومما يروى أن رشيد باشا التركى أرسل جواسيسه إلى إحدى الزوايا وسأل الجاسوس أحد الاخوان ، وهو محمد البكرى . عما إذا كان بالزاوية أسلحة ، فأجاب البكرى نعم لدينا مخازن من الأسلحة ، ثم قاده إلى أحد مخازن الكتب وفتحها له .

وقد استمرت مقاومة السنوسية للفرنسيين عشر سنوات .

قلت له : كيف تجد الكفاية فى هذه الأعشاب ؟ . .

قال لى : كف يدك عن الأذى ، وطهر لسانك عن الغيبة ، وافتح قلبك للحب يجعل لك الله فى كل عود أخضر من هذه العبدان غذاء كاملا .

سأله أن يعطى . .

فنظر إلى فى حياء وغمغم :

قال الله للمسيح : « يا عيسى عظم نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستع منى . » وأنا لم أتعظ بعد لأعظك .

فقلت له : إذن تتعظى بعض كلمات تكون زادى على الطريق

فقال وهو يرسل نظراته إلى الأفق البعيد :

اصرف كل اهتمامك إلى العلم ، فإن الله لا يعبد إلا بالعلم .

لا تشغل بطلب الدنيا ، من يشتغل بطلب الدنيا يبتلى فيها بالذل .

إذا خفت الله خاف منك كل شئ . .

احذر صحبة النساء اتقاء على إيمان قلبك .

الاستئناس بالناس من علامة الإفلاس وفراغ العقل وهذا شأن من تراهم على المقاهى . . فلاتسوء يؤنس به إلا الحضرة الإلهية والخلوة مع الرحمن .

من لازم الناس أصبح محصورا فى محيطاتهم وفى هيكل ذاته .

من دعا لظالم بطول العمر أو البقاء فقد دعا إلى معصية .

نقاء السريرة وصفاء القلوب وسلامة النيات وصحة الخلق والمخالفات هى رأس العبادة والسعى وراء الشهرة فسادها .

وفي سنة ١٩٠٢ سقطت زاوية بير العلاف في أيدي الجيش الفرنسي الذي
هدمها وبقي مكانها قلعة حصينة.

وفي سنة ١٩١١ تحولت السنوسية إلى الشمال لمقاومة الاستعمار الإيطالي.
واستطاعت أن تقاوم الإيطاليين عشرين سنة.

ولكن الصلب واليارود والصناعة الغربية والعلم الغربي استطاع أن يهزم
بدو الصحراء.

وفي كل صدام بين الشرق والغرب كانت الصناعة الغربية تحسم المعركة.

حريته

الرجل

المصالح

أكثر من صحة الصالحين فإن فيهم الشفعاء .

قلت له :

- ومن هم الصالحون ؟

قال :

- لباسهم ما ستر وطعامهم ما حضر . . أبرار أخفياء ، أتقياء إذا غابوا لم ينتقدوا وإذا حضروا لم يصرفوا . . محابوا في روح الله على غير أموال ولا أنساب . . يتعارفون في الله ويحبون في الله ويكرهون في الله . يقول الله عنهم يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي . . اليوم أظلمهم في ظل يوم لا ظل إلا ظلي .

قلت له : هل لهم وجود في هذه الأيام ؟

قال :

- خلعت الديار ، وباد القوم ، وارتحل أرباب السهر ، وبقي أهل النوم ، واستبدل الزمان بأكل التهورات أهل الصوم . . لم يبق إلا أقزام مهزبل حثالة كحالة النحير أمثالنا لا يبال الله بهم .

قلت له : ما رأيك في أهل هذا الزمان ؟

قال في حسرة :

- اعترفوا بالله وتركوا أمره ، وقرءوا القرآن ولم يعملوا به وقالوا نحسب الرسول ولم يتبعوا سنته ، وقالوا نحب الجنة وتركوا طريقها ، وقالوا نكره النار وتسابقوا إليها . وقالوا إبليس لنا عدو وأطاعوه ، ودفعوا أموالهم ولم يعتبروا بهم ، واشتغلوا بعيوب إخوانهم ونسوا عيوبهم ، وجمعوا المال ونسوا الحساب ، وبنوا القصور ونسوا القبور .

هو رجل مغرب منقطع للعبادة في جبل .

لم يشأ أن يذكر اسمه ولا مكانه . .

هو عبد الله في أرض الله .

يلبس بردا من الصوف ويجلس على الأرض بغير فراش ويتوسد الحجر . . وما رأيت معه إلا بعض كتب مخطوطة . . وما رأيته ضاحكاً . . وما رأيته رافعاً بصره في طريق .

يكسب حياته من غزل الصوف .

ولا يأكل إلا بضع ثمرات فإذا ارتحل فأعشاب الطريق زاده . . وهو مورد الوجه بفيض صحة وإشراقا .

لقد كنا في زماننا نحلم بالحج إلى مكة والقدس والموت بها .
وأنتم جاءتكم فرصة الشهادة إلى بابكم بالقدس فإذا فعلتم ؟
ولم أجد كلمة أجيبه بها .

أما هو فراح يبكى ويضعف بين دموعه .

والله لولا عباد ركع وصيبة رضع وبهائم رجع نصب عليكم العذاب صبا .
وحينما تركته كان قد بدأ يتشد :

وشمس على المعنى مطالع أفقها
فقرها قينا وشرقها منا

وحينما كانت لغات أنشاده تذوب في الهواه كانت ذاكرتي تصودني إلى لقائي
بالتصوف الهندي براهما وأجيسوارا الذي رويت حديثه في كتابي الخروج من
التابوت . . ولا أدري لماذا أحست أني أمام نفس الرجل . .

كان كلاهما يقول كلاما واحدا ، ويتكلم نفس اللفظة وكأنما يجلسان على مائدة
واحدة ويقرآن من نفس الكتاب .

وتذكرت حديق مع المتصوف المغربي عبد العزيز بن عبد الله وكيف كان
يقول لي إن التصوف الهندي هو الذي أخذ منا ولم نأخذ منه وإن نبحار بابل
وقارس وعلماءها كانوا ينقلون دياناتنا الشرقية إلى الهند من أيام إبراهيم الخليل
بدليل دخول الكلمات العربية في الكلمات السنسكريتية :

سوترا . . الصورة

جو . . هو

منا . . من أنت

بوداتا . . ذات يودا

احسين . . احسان

اسرافا . . اسراف

ماهاياتا . . معاينة

كارما . . كرامة

نيرافانا . . نور الفنا

لقد كنا نعطي دائما .

ولقد أخذ منا الكل .

واحتوت دياناتنا على الحق كله .

والتصوف الاسلامي احتوى بين دفتيه على كل الطرائق بما فيها البوذية
والبوچا .

كنت أسير مستغرقا في التفكير

وكان انشاد الفقير المغربي ما زال يرن في أذني :

وشمس على المعنى مطالع أفقها
فقرها قينا وشرقها منا

نعم . . إن الشمس تغرب قينا الآن . .

فتي يكون مشرقها منا ؟ . .